تأملات في تفسير سورة التين
تفسيرًا تحليليًا

إعداد الدكتورة
وردة عبدالرحمن عبدالسميع
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

تأملات في تفسير سورة التين تفسيرًا تحليليًا

وردة عبدالرحمن عبدالسميع

قسم التفسير وعلوم القرآن كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر الشريف، مصر

البريدالالكتروني:Wardaabdasamiez.67@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان قيمة هذه السورة الكريمة التي تعد من السور ذات الأسماء الفريدة، وذكر فيها لفظ ﴿وَٱلتِّينِ﴾ وهو أيضًا من الفرائد القرآنية، واشتملت هذه السورة الكريمة المكية على دلائل القدرة والوحدانية في التين والزيتون وما فيهما من إعجاز علمي أثبته العلم الحديث، ودلائل القدرة والوحدانية أيضًا في خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين ولا يخفى ما في ذلك من إثبات البعث بعد الموت فالقادر على خلقه الإنسان وتطوره بمراحله المختلفة قادر على إحياء الموتى للبعث والجزاء، واشتملت على آيات تشابهت مع غيرها في سور أخرى لأسرار ودلالات تقتضي هذا وذاك، ثم ختمها بالإقرار بكونه جل جلاله أحكم الحاكمين٠

الكلمات المفتاحية: [التين ــ الزيتون ــ مناسبة السورة ــ الإعجاز العلمي ــ طور سنين ــ البلد الأمين ــ أحسن تقويم ــ أسفل سافلين ــ أجر غير ممنون ــ أحكم الحاكمين]٠

Reflections on the Interpretation of Surat Al-Tin, An analytical Interpretation

Warda Abd El-Rhman Abd El-Sameea

Department of Interpretation and Qur'an Sciences, College of Islamic and Arab Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: Wardaabdasamiez.67@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to explain the miracles of this noble surah which is considered one of those surahs with unique names. The word "..... " which is mentioned in it, is also one of the Quranic characteristics. This honorable Meccan surah included the evidence of power and oneness in figs and olives, and the scientific miracles in them that are proven by modern science, and the evidence of power and oneness also in the creation of man in the best being and then restoring it to the lowest bottom . In that, it is not hidden that, the resurrection is proven to occur after death. Similarly, as God is capable of creating man and developing him in his various stages, He is also able to revive the dead for resurrection and reward, The research also included verses that were

similar to others in other surahs for secrets and connotations that require this and that. Then He concluded it by acknowledging that He is His Majesty the wisest of the rulers.

Key words: The figs, Olives, The Occasion of the Surah, The Scientific Miracle, The Stage of years, The Honest Country, The Best Being, The Bottom of the Ungodly, An Unforgettable Wage, The Wisest of the Rulers

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا٠

إنه من يهده الله فلا مضل له ومن مضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من بين خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزوغ عنها إلا هالك٠

اللهم صل وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين:

وبعد

فإن هذا البحث تأملات في تفسير سورة التين تفسيرًا تحليليًا وهي من السور ذات الأسماء الفريدة كتبته لاشتمال السورة الكريمة على دلائل القدرة والوحدانية في التين والزيتون وما فيهما من إعجاز علمي أثبته العلم الحديث ـ ودلائل القدرة والتوحيد في خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين ولا يخفى ما فيه من إثبات البعث بعد الموت فالقادر على خلق الإنسان وتطوره بمراحله المعروفة قادر على إحياء الموتى للبعث والجزاء٠

وتفرد لفظ ﴿ **وَٱلتِّينِ** ﴾ فيها فهي من الفرائد القرآنية وسر التعبير بما ورد فيها من آيات تشابهت مع غيرها في سورة أخرى، وختمتها بالإقرار بكونه تعالى أحكم الحاكمين٠

وقد اشتمل هذا البحث على الآتي:

تمهيد ويشتمل على:

١ – اسم السورة الكريمة٠

٢ – عدد آياتها.

٣ – مكية السورة ومدنيتها، وأغراض السورة الكريمة، وما اشتملت عليه السورة الكريمة من موضوعات قرآنية ومناسبة السورة لما قبلها في ترتيب المصحف ولما بعدها، ومناسبة السورة الكريمة لما قبلها في ترتيب النزول ولما بعدها.

ثم التفسير التحليل لآيات السورة الكريمة ويشتمل على:

١ – المفردات.

٢ – المعنى الإجمالي.

٣ – الإعراب.

٤ – البلاغة.

٥ – القراءات.

٦ – بعض ما أثبته العلم الحديث من أسرار وأعجاز للتين والزيتون.

الخاتمة، وذكرت فيها أهم نتائج البحث.

فهرسًا للمراجع وفهرسًا للموضوعات

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم وحسبي أني بذلت جهدي والله من وراء القصد وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾

تمهيد:

وقبل أن نبدأ في تفسير ــ تأملات في تفسير سورة التين تفسيرًا تحليليًا ــ يجدر بنا تتميمًا للفائدة أن نبين أمورًا هي:

١ – اسم السورة الكريمة.

٢ – عدد آيات السورة الكريمة.

٣ – مكية السورة ومدنيتها.

٤ – أغراض السورة الكريمة.

٥ – ما اشتملت عليه السورة الكريمة من موضوعات قرآنية.

٦ – مناسبة السورة الكريمة لما قبلها في ترتيب المصحف ولما بعدها.

٧ – مناسبة السورة الكريمة لما قبلها ولما بعدها في ترتيب النزول.

أقول وبالله التوفيق:

وجه التسمية:

سميت السورة الكريمة بـ"سورة والتين" بإثبات الواو تسمية بأول كلمة فيها، وسماها بعض المفسرين «سورة التين» بدون واو لأن فيها لفظ "التين" كما قالوا: "سورة البقرة"(١).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ــ مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤١٩ ط: دار كنوز للنشر.

عدد آيات السورة الكريمة:

ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة، ومائة وخمسة أحرف، وعدت النافية والغرض في ترتيب النزول ـ نزلت بعد سورة البروج وقبل سورة الإيلاف[١].

نزول هذه السورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة مكية عند أكثر العلماء ٠

قال ابن عطية: «لا أعرف في ذلك خلافًا بين المفسرين، ولم يذكرها في الإتقان في عداد السور المختلف فيها»[٢].

وذكر القرطبي عن ابن عباس وقتادة مدنية[٣].

أغراض السورة الكريمة:

١ – التنبيه بأن الله خلق الإنسان على الفطرة المستقيمة ليعلموا أن الإسلام هو الفطرة كما قال في الآية الأخرى[٤]: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ** ﴾ وأن ما يخالف أصوله بالأصالة أو بالتحريف فساد وضلال، ومتبقي ما يخالف الإسلام أهل ضلالة٠

٢ – التعريض بالوعيد للمكذبين بالإسلام[٥].

---

(١) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي جـ٣/ صـ٨٧٩، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي جـ٨ صـ٥٥٣ ط دار الفكر، وتفسير المراغي جـ٢٠/ صـ١٩٣ ط مصطفى البابي الحلبي، والتحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠/ ٤١٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن مجلد٤/ جـ٧/ صـ٢٦٥ ط دار الفكر٠

(٢) التحرير والتنوير ــ مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤١٩، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: جـ١/ صـ١٩٨ ــ ط دار الحياة، والإتقان للسيوطي جـ١/صـ١٥ ط دار المعرفة٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ــ ط: دار الكتب المصرية ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م جـ٢٠ صـ١١٠ ٠

(٤) سورة الروم: من الآية ٣٠ ٠

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠/ صـ٤١٩ ٠

٣ – الإشارة بالأمور المقسم بها إلى أطوار الشرائع الأربعة إيماء إلى أن الإسلام جاء مصدقًا لها وأنها مشاركة أصولها لأصول دين الإسلام.

٤ – التنويه بحسن جزاء الذين اتبعوا الإسلام في أصوله وفروعه.

٥ – الامتنان على الإنسان بخلقه على أحسن نظام في جثمانه ونفسه[١].

تعالج موضوعين أساسيين هما:

١ – تكريم الله تعالى للإنسان.

٢ – الإيمان بالحساب والآخرة.

ما اشتملت عليه السورة من موضوعات قرآنية:

موضوع السورة كسائر الموضوعات المكية هو إثبات وجود الله ووحدانيته، وإثبات البعث والجزاء وصدق النبي ـ ﷺ ـ ويتضح ذلك جليًا على النحو التالي:

أولاً: افتتحت السورة الكريمة بالقسم المؤكد المؤذن بأهمية الغرض المسوق له الكلام، فأقسم سبحانه بالتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين.

قال تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٢].

ولا يخفى ما في هذا القسم من الدلالة على وجود الله ووحدانيته.

ثانيًا: أردف ذلك إثبات ألوهية الله عزوجل بجواب القسم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٣].

ولا يخفى ما في هذا الجواب من الدلالة على وجود الله ووحدانيته.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٠ .
(٢) سورة التين: الآيات من ١: ٣ .
(٣) سورة التين: الآية ٤ .

ثالثًا: انتقلت الآيات الكريمة بعدئذ إلى بيان كيف رد الإنسان إلى أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[1].

رابعًا: ثم أشارت إلى الاستثناء المتصل من عموم الإنسان الذي رد أسفل سافلين الذين آمنوا فبقي غير المؤمنين في أسفل سافلين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ..... ﴾[2].

خامسًا: ثم أشارت إلى الثناء على المؤمنين بأن إيمانهم باعث على العمل الصالح والعمل الصالح من أحسن التقويم بعد مجيء الشريعة لأنها تزيد الفطرة رسوخًا وينسحب الإيمان على الأخلاق فيردها إلى فضلهم ثم يهديها إلى زيادة الفضائل من أحاسنها، وذلك في قوله ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾[3].

سادسًا: ثم فرع على معنى الاستثناء وهو أنهم ليسوا ممن يرد أسفل سافلين الإخبار بأن لهم أجرًا عظيمًا لأن الاستثناء أفاد أنهم ليسوا بأسفل سافلين فأريد زيادة البيان لعظم ما أعد لهم.

سابعًا: ثم أشارت الآية إلى ما هو تفريع على ما ذكر من تقويم خلق الإنسان ثم رده أسفل سافلين؛ لأن ما بعد الفاء مسببة عن البيان الذي قبل الفاء أي فقد بان لك أن غير الذين آمنوا هم الذين ردوا إلى أسفل سافلين فمن يكذب منهم بالدين الحق بعد هذا البيان.

سواء أكان المقصود بالدين الملة والشريعة أو الجزاء في الآخرة، ولا يخفى ما في ذلك من إثبات البعث والجزاء وصدق النبي ﷺ .

---

(١) سورة التين: الآية ٥ .
(٢) سورة التين: الآية ٦ .
(٣) سورة التين: الآية ٦ .

ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾[1].

ثامنًا: ختمت السورة الكريمة بعدل الله في إثابة المؤمنين وعقاب الكافرين بالتهديد والوعيد وذلك ببيان أن الله تعالى أحكم الحاكمين وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾[2].

مناسبة السورة الكريمة لما قبلها في ترتيب المصحف الشريف:

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم وسوره يجد ترابطًا تامًا بين هذه الآيات والسور، وذلك من إعجاز القرآن الكريم وبديع نظمه وسواء أكانت هذه السور والآيات مكية أم مدنية أم أحدهما مكية والأخرى مدنية فبينهما من الترابط ما يدل على عظمة هذا القرآن الكريم.

وعلى ذلك فقد جاءت سورة التين متناسقة مع سابقتها في ترتيب المصحف "سورة الشرح" وذلك من وجوه هي:

١ – ما حكته سورة الشرح من حال أكمل خلق الله ﷺ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ الشرح ١: ٤.

٢ – ثم بين سبحانه حال النوع الإنساني وما ينتهي إليه أمره وما أعد سبحانه لمن آمن برسوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ... فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[3].

مناسبة السورة الكريمة لما بعدها في ترتيب المصحف الشريف (سورة العلق):

---

(١) سورة التين: الآية ٧.

(٢) سورة التين: الآية ٨.

(٣) تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي جـ٢٠ صـ١٩٣ ـ الطبعة الأولى ١٩٤٦م ـ ١٣٦٥هـ ـ ط مصطفى البابي الحلبي، والبحر المحيط لأبي حيان جـ١٠/ ٥٠٢ ط دار الفكر، وروح المعاني للألوسي جـ٢٩ صـ٣١٠ ط المكتبة التجارية.

مقصود هذه السورة الكريمة "سورة العلق" الأمر ـ لاسيما للمقصود بالتفصيل في سورة التين ـ بعبادة من له الخلق والأمر، شكرًا لإحسانه واجتنابًا لكفرانه وطمعًا في جنانه وخوفًا من نيرانه، لما ثبت أنه يدين العباد يوم المعاد، وكل من اسميها دال على ذلك لأن المربي يجب شكره ويحرم غاية التحريم كفره، على أن ﴿ اقْرَأْ ﴾ يشير إلى الأمر، والعلق يشير على الخلق، واقرأ يدل على البداية وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النهاية وهي النجاة يوم الدين باللازم، والعلق يدل على كل من النهاية ثم البداية بالالتزام لأن من عرف أنه مخلوق من دم عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فإن التراب أقبل للحياة من الدم، ومن صدق بالإعادة عمل لها.

خص العلق لأنه مركب الحياة، ولذلك سمي نفسًا[1] ولما أمره سبحانه وتعالى في الضحى بالتحديث بنعمته وذكره بمجامعها في ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ فأنتج ذلك افراده مما أمره به في ختمها من تخصيصه بالرغبة إليه، فدل في الزيتون على أنه أهل لذلك لتمام قدرته الذي يلزم منه أنه لا قدرة لغيره إلا به فأنتج ذلك تمام الحكمة فأثمر قطعًا البعث للجزاء فتشوف السامع إلى ما يوجب حسن الجزاء في ذلك اليوم وبأي وسيلة يقف بين يدي الملك الأعلى في يوم الجمع الأكبر من خصال الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأرشد إلى ذلك في هذه السورة فقال بادئًا بالتعريف بالعلم الأصلي ذاكر أصل من خلقه سبحانه وتعالى في أحسن تقويم وبعض أطواره الحسنة والقبيحة تعجيبًا من تمام قدرته سبحانه وتعالى، وتنبيهًا على تعرفها وإنعام النظر فيها، وقدم العقل العامل في الجار والمجرور هنا لأنه أوقع في النفس لكونها أول ما نزل فكان الأمر بالقراءة أهم:

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، جـ٢٢ صـ١٥١ ـ ط: دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

- ﴿ اقْرَأْ ﴾ حذف مفعوله إشارة إلى أنه لا قراءة إلا بما أمره به وهي الجمع الأعظم، فالمعنى: أوجد القراءة لما لا مقروء غيره، وهو القرآن الجامع لكل خير، وأفصح له فإنه لا يقدر على ذلك إلا بمعونة الله الذي أدبه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته[1].
- وافتتاح القراءة ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ أي بأن تبسمل، أو مستعينًا بالمحسن إليك لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى بما خصك به في ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾.
- أو بذكر اسمه والمراد على هذا بالاسم الصفات العلى، وعبر به لأنه يلزم من حسن الاسم حسن مدلوله، ومن تعظيم الاسم تعظيم المسمى وجميع ما يتصف به وينسب إليه[2].
- ولما خصه تشريفًا بإضافة هذا الوصف الشريف إليه، وصفه على جهة العموم بالخلق والأمر إعلامًا بأن له التدبير والتأثير.

وبدأ بالخلق لأنه محسوس بالعين فهو أعلق بالفهم وأقرب إلى التصور، وأدل على الوجود وعظيم القدرة وكمال الحكمة، فكانت البداءة في هذه السورة التي هي أول ما نزل أنسب الأمور لأن أول الواجبات معرفة الله، وهي بالنظر إلى أفعاله في غاية الوضوح فقال: ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وحذف مفعوله إشارة إلى أنه له هذا الوصف وهو التقدير والإيجاد على وفق التقدير الآن وفيما يكون، فكل شيء يدخل في الوجود فهو من صنعه ومتردد بين إذنه ومنعه وضره ونفعه[3].

(١) المرجع السابق: جـ٢٢/ صـ١٥٢، ١٥٣، ط دار الكتاب الإسلامي.
(٢) نظم الدرر للبقاعي جـ٢٢/ صـ١٥٣ .
(٣) المرجع السابق جـ٢٢ صـ١٥٤ .

مناسبة سورة التين لما قبلها في ترتيب النزول وهي سورة البروج على سبيل الإجمال كالآتي:

١ – افتتاح السورتان بالقسم المؤذن بأهمية الغرض المسوق له الكلام٠

افتتحت سورة البروج بالقسم والمقسم عليه بقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ البروج من ١: ٣ ٠

وافتتحت سورة التين بالقسم أيضًا بقوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ التين من ١: ٣ ٠

٢ – تضمنت السورتان القسم ببعض دلائل عظيم القدرة الإلهية المقتضية تفرده تعالى بالإلهية والوحدانية وإبطال الشريك وبعضها مذكر بيوم البعث الموعود بأقسم بالسماء ذات البروج الدالة على عظيم القدرة وسعة العلم الإلهي إذ خلقها الله تعالى على تلك المقادير المضبوطة لينتفع بها الناس في مواقيت الأشهر والفضل، وأقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة (باتفاق أهل التأويل) وأقسم بالشاهد والمشهود على اختلاف تأويلاته بالراثي والمشهود بالمرثي ويجوز أن يكون الشاهد الله تعالى والمشهود المحشورون للحساب، ويجوز أن يكون الشاهد: الشاهدين من الملائكة، وهم الحفظة الشاهدون على الأعمال، والمشهود: أصحاب الأعمال، ويجوز أن يكون الشاهد الرسل المبلغين الأمم حين يقول الكفار ما جاءنا من بشير ولا نذير، وسيدنا محمد يشهد على جميعهم، وذلك في قوله ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ البروج ١: ٣ وأقسم في التين: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ التين ١: ٣ ٠

٣ – وما حكمة سورة البروج بعذاب الحريق من الوعيد الشديد والبطش الشديد للذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ..... ﴾ البروج الآية: ١٠، وجاءت هذه السورة مبينة أنهم ممن اندرجوا ضمن قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ التين الآية: ٥، إذ دنسوا فطرة الله السليمة التي فطر الله الناس عليها.

٤ – تضمنت سورة البروج الوعد بالجنات والفوز العظيم للذين آمنوا وعملوا الصالحات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ البروج: الآية ١١، وجاءت هذه السورة مبينة جزاءهم بأنه غير ممنون ومقطوع وذلك في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ التين: الآية ٦ .

٥ – تضمنت سورة البروج ما يصلح أن يكون استدلالاً على إمكان البعث بأن الله يبدئ الخلق ثم يعيده وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ البروج: الآية ١٣ .

وجاءت هذه السورة مبينة أن الذي يكذب بالدين على معنى الجزاء في الآخرة يتولى الله الانتصاف منه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ سورة التين الآيتان٧، ٨ .

٦ – ما حكمة سورة البروج من شدة بطشه تعالى بفرعون وثمود في قوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ البروج ١٧، ١٨، وهو ما أجمل في قوله تعالى في سورة التين: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ التين الآية ٥ .

٧ – تضمنت سورة البروج الوعيد والتهديد لمن كذب الرسل واستمر على التكذيب جزاء وفاقا فقد قوبل جزاء إحاطة التكذيب بهم بإحاطة العذاب بهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ سورة البروج الآيتان ١٩، ٢٠ .

وجاءت هذه السورة متضمنة الإقرار بكونه تعالى أحكم الحاكمين في قضائه فلا يخالط حكمه تفريط فقضاؤه يفوق كل قضاء من إصابة الحق، وقطع دابر الباطل، وإلزام كل من يقضي عليه بالامتثال لقضائه والدخول تحت حكمه[١].

مناسبة سورة التين لما بعدها في ترتيب النزول وهي سورة "قريش":

افتتحت سورة التين بالقسم بالبلد الأمين الذي هو "مكة" فهو المأمون ساكنوه، الآمن من دخله وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ سورة التين: الآية ٣، وفصل ذلك في سورة قريش.

١ – أوهم بتوحيد الله بالربوبية ـ تذكيرًا لهم بنعمة أن الله مكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف لا يخشون عاديًا يعدو عليهم.

٢ – وبأنه أمنهم من المجاعات وأمنهم من المخاوف لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة.

٣ – وبما ألهم الناس من جلب السلع إليهم من جميع البلاد العربية فاستغنوا بالتجارة[٢].

٤ – وذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم إذ يسر لهم ما لم يتأت لغيرهم من العرب من الأمن من عدوان المعتدين وغارات المغيرين في السنة كلها بما يسر لهم من بناء الكعبة وشرعة الحج وجعلهم عمار المسجد الحرام وجعل لهم مهابة وحرمة في نفوس العرب كلهم في الأشهر الحرم وفي غيرها فرد القبائل فلا يغير على بلدهم أحد.

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور مجلد ١٥/ جـ٣٠ صـ٢٣٧ : ٢٣٩ بتصرف.
(٢) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور مجلد ١٥/ جـ٣٠ صـ٥٥٤، ٥٥٩، ٥٦٠ بتصرف.

التفسير التحليلي لآيات السورة الكريمة:

الإنسان بين السمو والانتكاس في ضوء سورة التين:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

المفردات:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ هما الشجرتان المعروفتان ذات الثمر المعروف، أو هما مكانا في الشام[١].

﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ فاكهة تؤكل الواحدة تينة[٢] وقيل قوله: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ هما جبلان وقيل هما المأكولان[٣].

وقال ابن فارس[٤]: التاء والياء والنون ليس أصلاً، إلا التين ـ وهو معروف ـ والتين جبل.

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾: الجبل المسمى بهذا الاسم في طور سيناء، والذي ناجى موسى عليه ربه[٥].

(١) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي صـ٨٧٩ .
(٢) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ط: دار المنار ـ باب التاء صـ٥٨ .
(٣) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني كتاب التاء صـ٧٦ ط دار المعرفة.
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب التاء/ باب التاء والياء، وما يثلثهما في الثلاثي: جـ١/ ٣٦١/ ط دار الفكر.
(٥) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي صـ٨٧٩ .

الطور التارة ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ قال الأخفش: طورًا علقة وطورًا مضغة، والناس أطوار أي أضياف على حالات شتى والطول الجبل[١].

طور ـ طوار الدار وطواره ما امتد منها من البناء؛ يقال طورًا بعد طور أي تارة بعد تارة، والطور اسم جبل مخصوص وقيل اسم لكل جبل، وقيل هو جبل محيط بالأرض[٢].

"وسين": طور سيناء جبل معروف بالشام وهو طور أضيف إلى سيناء وهي شجر، وكذا طور سنين، والسين من حروف المعجم، وقال الأخفش سنين شجر واحدتها سنينة. قال: وقرئ (طور سيناء) وسيناء بالفتح والكسر والفتح أجود في النحو، وقال أبو علي: إنما لم يصرف لأنه جعل اسما للبقعة[٣].

﴿ ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ البلد والبلدة بمعنى والجمع بلاد وبلدان والبلادة بالفتح ضد الذكاء[٤] .

قال الأخفش: يريد البلد الآمن وهو من الأمن، وقيل الأمين المأمون[٥].

والبلدة: المكان المحَيَط المحدود للناس باجتماع قطانه وإقامتهم فيه.

قال عزوجل: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[٦] قيل يعني به مكة.

(١) مختار الصحاح للرازي باب الطاء صـ١٩٢ .
(٢) المفردات للراغب الأصفهاني كتاب الطاء صـ٣٠٩ .
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني كتاب السين صـ٢٥١، ومختار الصحاح باب الشين صـ١٦١ .
(٤) مختار الصحاح باب الباء صـ٥٠ .
(٥) مختار الصحاح باب الهمزة صـ٣٥ .
(٦) سورة البلد: الآية ١ .

وقال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[١] وقال: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾[٢]، ﴿ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾[٣] وقوله: ﴿ سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[٤]، وقال عزوجل: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[٥] [٦].

﴿ ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ مكة[٧].

﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾: تقويم الشيء تثقيفه، قال ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ وذلك إشارة إلى ما خصَّ به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما في هذا العالم، وتقويم السلعة بيان قيمتها[٨] فقوم الشيء تقويمًا فهو قويم أي: مستقيم[٩]، وقومت الشيء تقويمًا إذا جعلته على أعدل وجه وأكمل صورة[١٠].

﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾: السفل ضد العلو وسفُل فهو سافل، قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾[١١] وأسفل ضد أعلى.

قال تعالى: ﴿ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾[١٢] وسفل صار في سُفل.

---

(١) سورة إبراهيم: من الآية ٣٥ .
(٢) سورة سبأ: من الآية ١٥ .
(٣) سورة الزخرف: من الآية ١١ .
(٤) سورة فاطر: من الآية ٩ .
(٥) سورة البقرة: من الآية ١٢٦ .
(٦) المفردات في غريب القرآن كتاب الباء صـ٥٩ باختصار .
(٧) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي جـ٣/ صـ٨٧٩ .
(٨) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: كتاب القاف صـ٤١٨ .
(٩) مختار الصحاح للرازي: باب القاف صـ٢٥٧ .
(١٠) التفسير الواضح جـ٣/ صـ٨٧٩ .
(١١) سورة الحجر: الآية ٧٤ .
(١٢) سور الأنفال: الآية ٤٢ .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[1] وقال: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾[2] وقد قوبل بفوق في قوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾[3] وسفالة الهج حيث تمر الريح والعلاوة ضده والسفلة من الناس النذل نحو الدون، وأوهم في سفالٍ[4] والمراد جعلناه من أهل النار الذين هم أسفل من كل سافل[5].

﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ المنون: الدهر، والمنون أيضًا المنية لأنها تقطع المدد وتنقص العدد[6] وقوله: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[7] قيل: غير معدود كما قال: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[8] وقيل: غير مقطوع ولا منقوص[9].

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾: الدين: يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة، والدين كالملة لكنه يقال اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة، قال[10]: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[11].

فالدين بالكسر: العادة والشأن، و"دانه" يدينه "دينا" بالكسر أذله واستعبده، "فدان" والدين أيضًا: الجزاء والمكافأة، يقال دانه يدينه دينًا أي جازاه، والدين أيضًا:

---

(١) سورة التين: الآية ٥ .
(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠ .
(٣) سورة الأحزاب: الآية ١٠ .
(٤) المفردات في غريب القرآن، كتاب السين صـ٢٣٤ .
(٥) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي ٣/ ٨٧٩ .
(٦) مختار الصحاح ـ باب الميم صـ٢٨٩ .
(٧) سورة الانشقاق: آية ٢٥ .
(٨) سورة البقرة: آية ٢١٢ .
(٩) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الميم صـ٤٧٤ .
(١٠) سورة آل عمران: آية ١٩ .
(١١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الدال صـ١٧٥ .

الطاعة، تقول: دان له يدين دينًا أي أطاعه ومنه الدين، والجمع الأديان[١] وقيل يوم الجزاء[٢].

المعنى الإجمالي:

أقسم الله تعالى بالتين والزيتون، وبطور سنين التي ناجى فيها موسى ربه، وبهذا البلد الأمين، وهو مكة التي يقاسي فيها النبي الأمرين من قومه، مع أنها البلد الأمين الذي يأمن صاحبه ومن دخل فيه من كل صوب، بل يأمن فيها الطير والوحش والقاتل المطلوب.

وأقسم الله بالتين والزيتون وهما الشجرتان المعروفتان لمزيد فضلهما، ولمكانتهما الطيبة المعروفة، وقيل المراد بهما مكانهما، وهما يكثران في الشام التي كان فيها السيد المسيح عليه السلام والقسم بهما للإشارة إلى المسيح وبطور سيناء للنبي موسى كليم الله، وبهذا البلد الأمين لخاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وبعض العلماء يقول: التين والزيتون موضعان في الشام، وهذا يحتاج إلى تصديق الواقع له، لقد أقسم الله بهذه الأمكنة المقدسة لشرف من حل بها من الأنبياء والرسل، لقد خلق الإنسان في أحسن تقويم أي: على أحسن حال وأكمل صورة، ألا تراه وقد خلقه مستوي القامة مرفوع الرأس، يأكل بيده، قد وهبه العقل والتفكير، والقدرة على تسخير غيره من الحيوان والنبات، بل امتد عقله، واتسع تفكيره إلى أن سخر الطبيعة وذللها لأغراضه ومنافعه، والشواهد على ذلك كثيرة الآن، ولعل السر في هذا القسم لفت أنظار الناس إلى أنفسهم، وما ركب فيها من قوى وإدراك وعقول وتمييز ليصلوا بهذا إلى توحيد الله القوي القادر، هذا الإنسان الذي خلقه ربه فأكرمه ونعمه، وجعله يستولي على جميع العوالم، قد كان في أول

(١) مختار الصحاح للرازي: باب الدال صـ١١٥ بتصرف واختصار.
(٢) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي: جـ٣ صـ٨٧٧.

الأمر قليل الأطماع، لم تنبه فيه غرائز الشر، ثم تنبهت فيه عوامل الشر، وغرائز السوء حتى ظهر الحقد والحسد التنازع والإفساد، والقتال والنزاع والهروب، وأصبح الإنسان كالحيوان المفترس فصار أعظم اغتيالاً لأخيه الإنسان من السباع، وهذا معنى قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ففطرة الله التي فطر الناس عليها تدعو إلى التراحم والتعاون والعدل والخلق الكامل، ولكن الإنسان قد ينزع إلى الشر بعوامل البيئة التي تحرك فيه مصادر السوء، وحينئذ ينسى فطرته، ويعود إلى حيوانيته، ويعمل عمل أهل النار، فيكون أسفل من كل سافل وأشد من كل حيوان ضار، هذا هو الإنسان وطبعه وما جبل عليه، فطرة سليمة، حتى إذا حركت فيها عوامل الشر انقلب أشد من الحيوان، إلا الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان بالله واليوم الآخر فإنهم يكبتون جماح نفوسهم، ويردونها إلى الجادة والخير، فيعملون العمل الصالح ابتغاء مرضاة الله، وهؤلاء لهم أجر كريم غير مقطوع فلهم الحسنى في الدنيا، ثم لهم الأجر الكامل في الآخرة، عجبًا لك أيها الإنسان! ما الذي يجعلك تكذب بيوم الدين بعد أن عرفت ذلك؟! أليس الله بأحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، حيث أثاب الطائعين بالثواب الدائم وجازى المكذبين بالعقاب الصارم[1] بلى ونحن على ذلك من الشاهدين[2].

---

(١) التفسير الواضح للدكتور محمود محمود حجازي: جـ٣ صـ٨٧٩ : ٨٨١ بتصرف.

(٢) فقد روى الترمذي وأبوداود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ منكم ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ فأنهى إلى قوله ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. أخرجه الترمذي في سننه ـ كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة التين/ ح٣٣٤٧، وقال عنه هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى ، جـ٥/صـ٤٤٣، ط دار الحديث، وأحمد في مسنده ج٧٣٨٥، وقال محققه أحمد محمد شاكر، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي التابعي الذي لم يسم، جـ٧ صـ١٩٧: ١٩٩ ط دار الحديث، وأخرجه أبوداود في سننه ـ كتاب الصلاة/ باب مقدار الركوع والسجود/ ح٨٨٧/ جـ١/صـ٣٣٧ ط:دار الفكر، ورواه الحاكم في المستدرك، من طريق يزيد بن هارون ـ جـ٢ صـ٥١٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ٨ صـ٥٥٩ في تفسيره لسورة التين.

الإعراب:

﴿ سِينِينَ ﴾ جاء تعرية في العربية على صيغة تشبه جمع المذكر السالم وليس بجمع مجاز في إعرابه أن يعرب مثل إعراب جمع المذكر بالواو نيابة عن الضمة أو الياء نيابة عن الفتحة والكسرة، وأن يحكى على الياء مع تحريك نونه بحركات الإعراب[1].

﴿ ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ أمين فعيل بمعنى مفعل، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول على وجه الإسناد المجازي[2] وإما فعيل بمعنى فاعل أي: الآمن من آمن الفعل بضم الميم أي أمانة فهو آمن[3].

وقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ مع ما عطف عليه هو جواب القسم[4].

جملة ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ معطوفة على جملة ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ فهي في حيز القسم.

وضمير الغائب في قوله: ﴿ رَدَدْنَٰهُ ﴾ عائد إلى الإنسان فيجري فيه الوجهان المتقدمان في التعريف.

و﴿ ثُمَّ ﴾ لإفادة التراخي الرتبي ـ وذلك لأن الرد أسفل سافلين بعد خلقه محوطًا بأحسن تقويم عجيب لما فيه من انقلاب ما جبل عليه وتغيير الحالة الموجودة أعجب من إيجاد حالة لم تكن؛ ولأن هذه الجملة هي المقصود من الكلام

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢١ .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٢، وروح المعاني للألوسي/ مجلد١٦/ صـ٢٩/ صـ٣١١ .

(٣) روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٢٩/ صـ٣١٢ .

(٤) إعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري: جـ١ صـ٥٦٤ / حققه وعلق عليه د/موسى علي موسى مسعود (رسالة ماجستير) ط لا يوجد.

لتحقيق أن الذين حادوا عن الفطرة صاروا أسفل سافلين، والمعنى لقد صيرناه أسفل سافلين أو جعلناه في أسفل سافلين[١].

وقوله: ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ مفعولاً ثانيًا لـ﴿ رَدَدْنَٰهُ ﴾ لأنه أجرى مجرى أخوات صار، والمعنى: أن الإنسان أخذ بغير ما فطر عليه من التقويم وهو الإيمان بإله واحد وما يقتضيه ذلك من تقواه ومراقبته فصار أسفل سافلين، وهل أسفل ممن يعتقد إلهية الحجارة والحيوان..... [٢].

ويجوز أن يكون ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ظرفًا أي مكانًا أسفل ما يسكنه السافلون فإضافة ﴿ أَسْفَلَ ﴾ إلى ﴿ سَٰفِلِينَ ﴾ من إضافة الظرف إلى الحال فيه، وقد نصب ﴿ أَسْفَلَ ﴾ بـ﴿ رَدَدْنَٰهُ ﴾ انتصاب الظرف أو على نزع الخافض، أي: إلى أسفل سافلين، وذلك هو دار العذاب فالرد مسبقا لمعنى الجعل في مكان مستحق، وإسناد الرد إلى الله تعالى على هذا الوجه حقيقي[٣].

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ استثناء متصل من عموم الإنسان فلما أخبر عن الإنسان بأنه رد أسفل سافلين ثم استثنى من عمومه الذين آمنوا بقي غير المؤمنين في أسفل سافلين.

وليس لانقطاع الاستثناء هنا احتمال لأن وجود الفاء في قوله ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ يأباه كل الإباية.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ صـ٤٢٧ .
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ صـ٤٢٧ .
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٦/ جـ٢٩ صـ٣١٤، ٣١٥ ، وإعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري: جـ١ صـ٥٦٤ .

وقوله: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فقد عطف أي ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ لأن عمل الصالحات من أحسن تقويم بعد مجيء الشريعة(١).

وقوله ﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ فالمنون مفعول من عليه، ويجوز أن يكون مفعولا من منَّ الحبل إذا قطعه فهو منين أي مقطوع أو موشك على التقطع أو لا يمن به عليهم(٢).

قوله: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ "ما" يجوز أن تكون استفهامية توبيخي إنكاري، أي: ما الذي يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالبعث(٣) فما استفهام رفع بالابتداء، ويكذبك الخبر(٤).

والخطاب للإنسان المذكور في قوله: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ فإنه بعد أن استثنى منه الذين آمنوا بقي الإنسان المكذب.

ومتعلق التكذيب إما محذوف لظهوره، أي يجعلك مكذبًا بالرسول ﷺ وإما المجرور بالباء، أي: يجعلك مكذبان بدين الإسلام، أو مكذبًا بالجزاء إن حمل الدين على معنى الجزاء.

وقوله: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ مستأنفة ـ والباء في قوله ﴿ بِٱلدِّينِ ﴾ ـ للسببية.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور/ مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٩ بتصرف، وروح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٢٩/ صـ٣١٥، ٣١٦، ومحاسن التأويل للقاسمي مجلد١٠/ جـ١٧ صـ١٩٨ .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٣٠، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد ١٦/ جـ٣٢/ صـ١٢ ط دار الفكر.

(٣) إعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري جـ١ صـ٥٦٤ .

(٤) مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب جـ٢/ صـ٨٢٦ / ط مؤسسة الرسالة بيروت.

أي فمن يكذبك بعد هذا يسبب ما جئت به من الدين فالله يحكم فيه ـ وذلك إذا كان الدين بمعنى الملة والشريعة، ويجوز أن تكون الباء صلة "يكذب" إذا كان الدين بمعنى الجزاء في الآخرة.

ويجوز أن تكون "ما" موصولة وما صدقها المكذب، فهما بمعنى "من" وهي في محل مبتدأ، والخطاب النبي ﷺ والضمير المستتر في ﴿ يُكَذِّبُكَ ﴾ عائد إلى "ما" وهو الرابط للصلة بالموصول، والباء للسببية أي ينسبك الكذب بسبب ما جئت به من الإسلام أو من إنبات البعث والجزاء.

وحذف ما أضيف إليه "بعد" فبنيت بعدُ على الضم والتقدير بعد تبيين الحق أو بعد تبيين ما ارتضاه لنفسه من أسفل سافلين.

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ يجوز أن تكون خبرًا عن "ما" والرابط محذوف تقديره "بأحكم الحاكمين فيه".

ويجوز أن تكون الجملة دليلاً على الخبر المخبر به عن "ما" الموصولة وحذف إيجازًا اكتفاء بذكر ما هو كالصلة له فالتقدير فالذي يكذبك بالدين يتولى الله الانتصاف منه أليس الله بأحكم الحاكمين[1].

وإنما انصرف أحكم في قوله: ﴿ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ وهو صفة على وزن الفعل؛ لأنه أضيف فخرج عن شبه الأفعال لأنها لا تضاف فانصرف إلى الخفض[2].

الصور البلاغية:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ﴾: ابتداء الكلام بالقسم المؤكد يؤذن بأهمية الفرض المسوق له الكلام وإطالة القسم تشويق إلى المقسم عليه[3].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٣٠ وصـ٤٣١ بتصرف.
(٢) مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي: جـ٢ صـ٨٢٦ .
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٠ .

ابتداء السورة بالقسم بما يشمل إرادة مهابط أشهر الأديان الإلهية براعة استهلال لغرض السورة وهو أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، أي خلقه على الفطرة السليمة مدركًا لأدلة وجود الخالق ووحدانيته.

وفيه إيماء إلى أن ما خالف ذلك من النحل والملل قد جار عن أصول شرائع الله كلها بقطع النظر عن اختلافها في الفروع[1].

وحقق بالتوكيد والقسم لأن تصرفات معظم الناس في عقائدهم جارية على حالة تشبه حالة من ينكرون أنهم خلقوا على الفطرة[2].

وفي تفسير ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ بأنه مسجد نوح الذي بني على الجودي بعد الطوفان إيماء إلى رسالة نوح وهي أول شريعة لرسول، وتفسير ﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ بالجبل الذي بني عليه المسجد الأقصى إيماء إلى شريعة إبراهيم فإنه بنى المسجد الأقصى ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ إيماء إلى شريعة التوراة و﴿ ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ إيماء إلى مهبط شريعة الإسلام ولم يقع إيماء إلى شريعة عيسى لأنها تكملة لشريعة التوراة.

وفي تفسيره الزيتون وتأويله بالمكان وبأنه المسجد الأقصى إيماء إلى مكان ظهور شريعة عيسى عليه السلام لأن المسجد الأقصى بناه سليمان عليه السلام فلم تنزل فيه شريعة قبل شريعة عيسى.

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ إيماء إلى شريعة إبراهيم وشريعة الإسلام فالإسلام جاء على أصول الحنيفية وذلك يكون إيماء هذه الآية ما صرح به في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ .... ﴾[3] وبذلك يكون ترتيب الإيماء إلى شرائع نوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٣ .
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٣ .
(٣) سورة الشورى: من الآية ١٣ .

والسلام غير جار على ترتيب ظهورها، وتوجيه مخالفة الترتيب الذكري للترتيب الخارجي أنه لمراعاة اقتران الاسمين المنقولين من اسمي الثمرتين، ومقارنة الاسمين الدالين على نوعين من أماكن الأرض، ليتأتىَ محسن مراعاة النظير[١] ومحسن النورية[٢] وليتناسب ﴿ سِينِينَ ﴾ فواصل السورة[٣].

وقوله: «﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ فقد حقق التوكيد بالقسم في قوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ﴾ لأن تصرفات معظم الناس في عقائدهم جارية على حالة تشبه حالة من ينكرون أنهم خلقوا على الفطرة»[٤].

وأل في ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ للتعريف يجوز أن يكون تعريف الجنس[٥] وهو التعريف الملحوظ فيه مجموع الماهية مع وجودها في الخارج في ضمن بعض أفراده أو جميع أفراده، ويحمل على معنى: خلقنا جميع الناس في أحسن تقويم.

ويجوز أن يكون تعريف الإنسان تعريف الحقيقة، فلا يلاحظ فيه أفراد الجنس بل الملحوظ حالة الماهية في أصلها دون ما يفرض لأفرادها مما يفد بعض خصائصها[٦].

---

(١) مراعاة النظير هو: العلاقة المعنوية التي تربط الفاصلة بما يسبقها من كلام، فتكون المفردة تتويجًا لما يسبقها، بحيث تناسب فحوى المعنى الوارد. راجع جماليات المفردة القرآنية لأحمد باسوف ـ جـ١ صـ٣١٧ ط دار المكتبي ـ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) النورية هي: أن يذكر لفظ له معنيان، أحدهما قريب أي دلالة اللفظ عليه ظاهره: لكثرة استعماله فيه، والثاني تعبير أي: دلالة اللفظ عليه خفية لقلة استعماله فيه، ويراد المعنى البعيد واعتمادًا على قرينة. راجع المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني جـ١/ صـ١٦٦ ط:المكتبة الأزهرية للتراث.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢١، ٤٢٢ بتصرف.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠ صـ٤٢٣ .

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/جـ٣٠صـ٤٢٣ بتصرف، وروح المعاني للألوسي:مجلد١٦/جـ٢٩/صـ٣١٤ .

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٣ .

وحرف "في" يفيد الظرفية المستعارة لمعنى التمكين والملك فهي مستعملة في معنى باء الملامسة أو لام الملك فإنما عدل من أحد الحرفين الحقيقيين لهذا المعنى إلى حرف الظرفية لإفادة قوة الملابسة أو قوة الملك مع الإيجاز ولولا الإيجاز لكانت مساواة الكلام أن يقال: لقد خلقنا الإنسان بتقويم مكين هو أحسن تقويم.

قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ كناية عن أو أفادت أن الله كون الإنسان تكوينًا ذاتيًا مناسبًا ما خلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضرته، وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعتبر عند الله تعالى ولا جديرًا بأن يقسم عليه إذ لا أثر له في إصلاح النفس وإصلاح الغير والإصلاح في الأرض، ولأنه لو كان هو المراد لذهبت المناسبة التي في القسم بالتين والزيتون وطور سنين والبلد الأمين، وإنما هو متمم لتقويم النفس، فالمرضي عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظره العقلي الصحيح لأن ذلك هو الذي تصدر عنه أعمل الجسد إذ الجسم آلة خادمة للعقل(١).

وقوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾: الرد حقيقة: إرجاع ما أخذ من شخص أو نقل من موضع إلى ما كان عنده، وهو هنا مجازًا مرسلاً بعلاقة الإطلاق عن التقييد فهو مجازًا على تصيير الشيء بحالة غير الحالة التي كانت له مجازًا مرسلاً بعلاقة الإطلاق عن التقييد(٢).

﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾: أسفل اسم تفضيل، أي أشد سفالة، والمراد: أسفل سافلين في الاعتقاد بخالقه بقرينة قوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، وحقيقة السفالة: انخفاض المكان وتطلق مجازًا شائعًا على الخسة والحقارة في النفس فالأسفل الأشد سفالة من غيره في نوعه، فالسافلون هم سفلة الاعتقاد والإشراك أسفل الاعتقاد(٣).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٤ .
(٢) التحرر والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٧ .
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٧ .

وإسناد السرد إلى الله تعالى: إسناد مجازي لأنه يكون الأسباب العالية ونظام تفاعلها وتقابلها في الأسباب الفرعية، حتى تصل إلى الأسباب المباشرة على نحو الإسناد في قول الناس: "بنى الأمير مدينة كذا"[١] وقد يكون إسناد الرد إلى الله حقيقي وذلك على أن أسفل سافلين ظرفًا أي مكانًا أسفل ما يسكن السافلون ـ فهو من إضافة الظرف إلى الحال فيه ـ[٢].

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴾ عطف قوله: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ للثناء على المؤمنين بأن إيمانهم باعث لهم على العمل الصالح وذلك حال المؤمنين حين نزول السورة فهذا العطف عطف صلة كاشفة.

وقوله: ﴿ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴾ فرع على معنى الاستثناء وهو أنهم ليسوا ممن يرد أسفل سافلين والإخبار بأن لهم أجرًا عظيمًا لأن الاستثناء أفاد أنهم ليسو بأسفل سافلين فأريد زيادة البيان لفضلهم وما أعد لهم.

وتنوين ﴿ أَجۡرٌ ﴾ للتعظيم[٣].

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ تفريع على جميع ما ذكر من تقويم خلق الإنسان ثم رده أسفل سافلين لأن ما بعد الفاء من الكلام مسببًا عن البيان الذي قبل الفاء، أي: فقد بان لك أن غير الذين آمنوا هم الذين ردوا إلى أسفل السافلين فمن يكذب منهم بالدين الحق بعد هذا البيان[٤].

(١) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤١٨ .
(٢) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٨ .
(٣) راجع التحرير والتنوير: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٢٩ .
(٤) راجع التحرير والتنوير: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٣٠، وروح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٢٩/ صـ٣١٧، ومحاسن التأويل للقاسمي مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ١٩٩ .

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ "ما" الاستفهام توبيخي، وضمير الخطاب في قوله: ﴿ يُكَذِّبُكَ ﴾ التفات، ومقتضى الظاهر أن يقال: فما يكذبه، ونكتة للالتفات هنا أنه أصرح في مواجهة الإنسان المكذب بالتوبيخ[١].

وفيها أيضًا من البلاغة: الإلهاب والتعريض بالمكذبين، والمعنى: إنه لا يكذبك شيء ما بعد هذا البيان بالدين، لا كهؤلاء الذين يبالون بآيات الله ولا يرفعون لها رأسا، والاستفهام للإنكار والتعجب[٢].

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ مستأنفة للتهديد والوعيد والاستفهام تقريري.

وأحكم يجوز أن يكون مأخوذًا من الحكم أي أقضى القضاة ومعنى التفضيل أن حكمه أشد وأنفذ.

ويجوز أن يكون مشتقًا من الحكمة، والمعنى أنه أقوى الحاكمين حكمه في قضائه بحيث لا يخالط حكمه تفريط في شيئًا من المصلحة.

ونوط الخبر بذي وصف يؤذن بمراعاة خصائص المعنى المشتق منه الوصف فلما أخبر عن الله بأنه أفضل الذين يحكمون، علم أن الله يفوق قضاؤه كل قضاء في خصائص الفضاء وكمالاته، وهي: إصابة الحق، وقطع دابر الباطل، وإلزام كل من يقضي عليه بالامتثال لقضائه والدخول تحت حكمه[٣].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٣٠، وروح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٢٩/ بتصرف، صـ٣١٧، ومحاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ١٩٩ بتصرف.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ١٩٩ . == التعريض هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به وهو معنى يعرف عند عرض الكلام وجوانبه استنادًا إلى قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي أو غير مانعة. البيان والبديع لمؤلفه مناهج جامعة المدينة العالمية جـ١/ ٢٧٧ الكناية تتفاوت إلى تعريض، بلوغ، رمز، إيماء. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة جـ٢/ صـ٥٥١ لعبدالمتعال الصعيدي ـ ط: مكتبة الآداب ـ الطبعة السابعة.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٣١، وروح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٢٩/ صـ٣١٧ .

القراءات:

﴿ سِينِينَ ﴾ قرأ الجمهور: ﴿ سِينِينَ ﴾ بكسر السين، وقرأ ابن إسحاق وعمرو بن ميمون وأبورجاء بفتحها، وهي لغة بكر وتميم، وقرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود والحسن وطلحة ﴿ **سيناء** ﴾ بالكسر والمد(١).

المعنى التفصيلي للسورة الكريمة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ : أكثر المفسرين قالوا أن التين هو الذي يأكله الناس و﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ الذي يعصرون منه الزيت، وإنما أقسم بالتين؛ لأنه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيها أعظم عبرة لدلالتها على من هيأها لذلك، وجعلها على مقدار اللقمة، وأما الزيتون فإنه يعصر منه الزيت الذي هو إدام غالب البلدان ودهنهم، وقال الضحاك: التين المسجد الحرام، والزيتون المسجد الأقصى، وقال ابن زيد: التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس، وقال قتادة: التين الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، وقال عكرمة وكعب الأحبار: التين دمشق، والزيتون بيت المقدس(٢).

والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبي(٣).

---

(١) فتح القدير للشوكاني جـ٥/ صـ٦٦٩ ط دار الحديث، وروح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٢٩/ صـ٣١١، وورد في كتاب السبعة في القرآن لأحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي بتحقيق شوقي ضيف : [أن سورة التين ليس فيها خلاف] جـ١ صـ٦٩٠ ط دار المعارف.

(٢) فتح القدير للشوكاني:جـ٥/صـ٦٦٨، ٦٦٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن مجلد٤ جـ٧ صـ٢٦٥، ومعالم التنزيل للبغوي بمحاسن تفسير الخازن مجلد٤/ جـ٧/ صـ٢٦٥ .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود/ جـ٩/ ١٧٤/ ط:دار إحياء التراث العربي.

ويقول الشوكاني معقبًا على ذلك: «وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول على المعنى الحقيقي في اللغة العربية، والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى، المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقل ولا نقل»[١].

وقال الفراء: سمعت رجلاً يقول: التين جبال حلوان إلى همدان، والزيتون جبال الشام، وليس هذا تثبيت اللغة، ولا هو نقل عن الشارع، وقال محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد إيلياء، وقيل: إنه على حذف مضاف: أي ومنابت التين والزيتون، قال النحاس: لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل[٢].

وعقب كذلك على ما روي عن ابن عباس بأنه لا تقوم به حجة الكون إسناده فيه مجهول وهو ما قاله السيوطي فيما أخرجه الخطيب وابن عساكر بسند فيه مجهول إذ ما روي عن ابن عباس لا تقوم به حجة لكون إسناده فيه مجهول وهو ما قاله السيوطي فيما أخرجه الخطيب وابن عساكر عن الزهري[٣] عن أنس قال: لما أنزلت سورة التين والزيتون على رسول الله ﷺ فرح فرحًا شديدًا حتى تبين لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها فقال: التين بلاد الشام، والزيتون بلاد فلسطين، وطور سيناء الذي كلم الله عليه موسى وهذا البلد الأمين مكة ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ محمدًا ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ عبدة اللات والعزى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ .... ﴾ أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ إذ بعثك فيهم نبيًا وجمعك

(١) فتح القدير للشوكاني: جـ٥/ ٦٦٩، وصـ٦٧١ الرواية الثانية مجهول.

(٢) فتح القدير للشوكاني: جـ٥/ صـ٦٦٩ .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات: كتاب العلم، باب فضل سورة التين، جـ١/ صـ٢٤٩، وقال عنه هذا حديث موضوع بارد الوضع بعيد عن الصواب فالحمل فيه على ابن بيان الثقفي، فكأنه قد تلاعب بالقرآن ــ ط المكتبة السلفية، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق باختلاف يسير، باب: ذكر الإيضاح والبيان عما ورد في فضلها من القرآن، وقال أبوبكر الخطيب هذا الحديث بهذا الإسناد باطل لا أصل له يصح فيما نعلم فرجال إسناده كلهم مشهورون غير محمد بن بيان نرى العلة من جهة. جـ١ صـ٢١٤، ٢١٥ ط: دار الفكر.

على التقوى يا محمد، ومثل هذا التفسير من ابن عباس لا تقوم به حجة لما تقدم من كون في إسناده ذلك المجهول[1].

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى اسمه الطور، ومعنى سنين: المبارك الحسن بلغة الحبشة. قال قتادة وقال مجاهد: هو المبارك بالسريانية. وقال مجاهد والكلبي: سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط.

وإنما أقسم بهذا الجبل لأنه بالشام، وهي الأرض المقدسة، وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه[2].

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ يعني مكة سماه أمينًا لأن آمن أو لأنه مأمون القوافل ـ على نحو ما سبق ـ.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ هذا جواب القسم أي خلقنا أحسن الإنسان كائنًا في أحسن تقويم وتعديل، حيث إنه سبحانه خلق كل ذي روح مكبًا على وجهه إلا الإنسان ـ على نحو ما سبق ـ وقال ابن العربي[3]: (ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيًا عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا قديرًا حكيمًا، فالإنسان أحسن خلق الله باطنًا وظاهرًا).

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ أي رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم والضعف بعد الشباب والقوة حتى يصير كالصبي فيخرف وينقص عقله كذا قال جماعة من المفسرين.

---

(١) فتح القدير للشوكاني: جـ٥/ صـ٦٧١، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي جـ٨ صـ٥٥٤ ط دار الفكر بيروت.

(٢) فتح القدير للشوكاني جـ٥/صـ٦٦٩، والبحر المحيط لأبيحيان جـ١٠/صـ٥٠٢، صـ٥٠٣ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي جـ٤ / ٤١٥/ ط دار الكتب العلمية.

وقال الواحدي: والسافلون هم الضعفاء والزمناه والأطفال، والشيخ الكبير أسفل ذلك جميعًا، وقال مجاهد وأبوالعالية والحسن: المعنى ثم رددنا الكافر إلى النار وذلك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض، والكافر يرد إلى أسفل الدرجات السافلة ولا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين في ذلك الدرك الأسفل[1].

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وهذا الاستثناء على القول الأول منقطع أي: لكن الذين آمنوا...، ووجهه أن الهرم والرد إلى أرذل العمر يصاب به المؤمن كما يصاب به الكافر فلا يكون لاستثناء المؤمنين على وجه الاتصال معنى، وعلى القول الثاني بكون الاستثناء متصلاً من ضمير رددناه، فإنه في معنى الجمع: أي رددنا الإنسان أسفل سافلين من النار ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي غير مقطوع: أي فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم فهذه الجملة على القول الأول مبينة لكيفية حال المؤمنين، وعلى القول الثاني مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد، وقال: أسفل سافلين على الجمع، لأن الإنسان في معنى الجمع، ولو قال أسفل سافل لجاز؛ لأن الإنسان باعتبار اللفظ واحد.

وقيل: معنى ﴿ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ أي رددناه إلى الضلال كما قال[2]: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[3] وقوله: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ

---

(١) فتح القدير للشوكاني: جـ٥/ صـ٦٦٩، صـ٦٧٠، والبحر المحيط جـ١٠/ صـ٥٠٣، صـ٥٠٤، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد١٦/ جـ٣٢/ صـ١٢ بتصرف، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي وبهامشه حاشية الخطيب الكازروني جـ٥ صـ٥٠٧، ٥٠٨ .

(٢) سورة العصر: الآيتان ٢، ٣ .

(٣) فتح القدير للشوكاني: جـ٥ صـ٦٧٠، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود: جـ٩ صـ١٧٦، ط دار إحياء التراث العربي.

﴿ بِٱلدِّينِ ﴾ الخطاب للإنسان الكافر، والاستفهام للتقريع والتوبيخ وإلزام الحجة: أي: إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردك أسفل سافلين، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء؟ وقيل: الخطاب للنبي ﷺ أيّ شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة فاستيقن على ما جاءك من الله أنه أحكم الحاكمين، وقال الفراء والأخفش: المعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين، كأنه قال: من يقدر على ذلك؟ أي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما ظهر من قدرتنا على خلق الإنسان وما ظهر، واختار هذا ابن جرير[1] والدين الجزاء[2].

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أي أليس الذي فعل ما فعل مما ذكرنا بأحكم الحاكمين صنعًا وتدبيرًا؟ حتى تتوهم عدم الإعادة والجزاء، وفيه وعيد شديد للكفار، ومعنى أحكم الحاكمين أتقن الحاكمين في كل ما يحلق، وقيل أحكم الحاكمين قضاء وعدلاً. والاستفهام إذا دخل على النفي صار الكلام إيجابًا فلا يجوز ولا يظلم أحدًا، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه[3].

بعض ما أثبته العلم الحديث

من أسرار وإعجاز وفوائد للتين والزيتون

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبوجعفر الطبري ت٣١٠/ المحقق/ أحمد محمد شاكر، وتفسير الطبري جـ٢٤ صـ٥١٥ ، ط١ مؤسسة الرسالة.

(٢) فتح القدير للشوكاني جـ٥/ صـ٦٧٠، ٦٧١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي/ جـ٢ صـ٦٦٠ .

(٣) فتح القدير للشوكاني: جـ٥/ صـ٦٧١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: جـ٤/صـ٥٢٩ ـ ط دار الريان، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي جـ٢/صـ١٦١، ط دار الفكر.

فقد خلق الله تعالى لنا من الثمار والأشجار ما فيه منافع للناس فمنها تأكلون ومنها يتداوون ومن تلك الأشجار شجرة التين والزيتون.

تلك الشجرتان اللتان أقسم الله بهما فما من شيء يقسم الله تعالى به إلا وفي ذلك دلالة على فضله وعظمته ولفت الأنظار إلى عجيب صنعه وحكمته وللتين والزيتون فوائد طبية عديدة.

وردت في مقال تحت عنوان [الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ بعض أسرار القسم بـ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ ونشر في مجلة المعجزة العدد الرابع سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م وهي أن من فوائد التين:

- أنه يحتوي على نسبة عالية من المواد المعدنية، وأيضًا نسبة عالية من المواد السكرية، وأيضًا يحتوي على نسبة جيدة من فيتامين (ب) وأنه يفيد في حالات الإمساك، ويقلل من الحوامض في الجسم.
- ومن فوائد الزيتون أن ورقه يمضغ لعلاجات التهابات اللثة والحلق، ويستعمل لبخًا على الأورام..... وغير ذلك.

وبين هذا المقال أيضًا الإعجاز العلمي في سر الجمع بين التين والزيتون ـ وفي سر ذكر التين[١] مرة واحدة في القرآن الكريم والزيتون سبع مرات[٢] وذلك بما رواه الدكتور طه إبراهيم خليفة أستاذ النباتات الطبية والعقاقير بجامعة الأزهر وعميدها السابق أن هذه النسبة من ١: ٧ أي من حبة تين إلى سبع زيتونات هي أفضل نسبة لخلط النباتين معًا ليعطي الفائدة المنتظرة لصحة الإنسان واستخلاص المادة الحيوية (الميتالويثونيدز) ولم يعثر عليها إلا في نوعين من النباتات هما

(١) سورة التين: الآية ١ .

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٩، ١٤١، وسورة النحل: الآية ١١، سورة المؤمنون الآية: ٢٠، سورة النور: الآية ٣٥، سورة عبس: الآية ٢٩ .

التين والزيتون معًا. بهذه النسبة وأن التين وحده والزيتون وحده لم يعط الفائدة المرجوة وسبحان من أشار إلى ذلك منذ أكثر من ١٤٤٠عام٠

وكان من بركة هذا الإعجاز العلمي أن أعلن فريق البحث الياباني إسلامه ونص هذا المقال هو:

تحتوي فاكهة التين على الكثير من المغذيات أهمها الألياف، الحديد، المنغيز، البوتاسيوم وحمض البانتوثنيك.... ، B6 الفيتامين! أضف إلى ذلك أنها تحتوي على حشرة نافقة بداخلها فعندما تلقح أنثى الدبور داخل ثمرة التين غالبًا ما تعلق بداخلها، والتين الذي نتناولها يحتوي دائمًا على أنثى دبور واحدة على الأقل بداخله، وعندما تموت هذه الحشرة داخل حبة التين، يقوم أنزيم من بتحويلها إلى بروتينات وبالتالي تستطيع ثمرة «Ficin» الفاكهة يُدعي التين أن "تهضم" الحشرة الميتة٠

وتقوم ثمرة التين عادة بأكل أنثى الدبور وتجعلها جزءًا منها، ويقوم المزارعون بشراء أكياس من الدبور لضبط الكمية المسموح للنبة الواحدة بتناولها٠

فما من شيء يقسم الله تعالى به إلا وفي ذلك دلالة على فضله وعظمته، وفي ذلك لفت الأنظار إلى عظيم قدرة الله وعجيب صنعه، ومن ذلك الإقسام بالتين والزيتون٠

وقد أوردت كتب التداوي بالأعشاب ما في التين والزيتون من فوائد، فمما ذكر من فوائد التين ما يلي:

أولاً: أنه يحتوي على نسبة عالية من المواد المعدنية، أهمها الحديد والنحاس والكالسيوم، وهي المواد التي تساعد خلايا الجسم على أداء عملها٠

ثانيًا: أنه يحتوي على نسبة عالية من المواد السكرية التي تعطي الجسم القدرة على العمل، فكل ١٠٠ جرام من التين الطازج تعطي الجسم ٧٠ سعرة حرارية٠

ثالثًا: أنه يحتوي على مقادير جيدة من فيتامين "ب" لذلك يعتبر التين أكثر تغذية من جميع الفواكه.

رابعًا: أنه يفيد في حالات الإمساك، لأنه ملين للمعدة .

خامسًا: أنه يقلل من الحوامض في الجسم، ومفيد للحوامل والرضع، هذ بعض مما ورد من فوائد التين.

أما الزيتون فإن له استعمالات علاجية كثيرة، ومن ذلك:

أولاً: أن ورقه يمضغ لعلاج التهابات اللثة والحلق.

ثانيًا: أنه يستعمل لبخًا على الأورام، ولاسيما أورام اللوزتين والحلق.

ثالثًا: هناك فوائد صحية عديدة لزيت الزيتون يمكن للسائل مراجعتها تحت بند "طب وعلوم وتكنولوجيا" بالشبكة، فقد ذكرت بالتفصيل.

ومن الممكن أن يخفى على الناس أضعاف ما علموا من الفوائد والأسرار التي توجد في هاتين الشجرتين.

خلق الله سبحانه وتعالى لنا من الثمار والأشجار ما فيه منافع للناس، فمنها يأكلون ومنها يتداوون، ومن تلك الأشجار شجرة التين وشجرة الزيتون، تلك الشجرتان اللتان أقسم الله بهما، ووصف شجرة الزيتون بأنها شجرة "مباركة" وجعل الله في ثمارها وما يخرج منها من زيت خيرًا كثيرًا.

وقد ذكر التين والزيتون في القرآن الكريم، حيث أقسم الله سبحانه وتعالى بهما فقال: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين: ١ ـ٣]، وورد ذكر الزيتون في القرآن سبع مرات بألفاظ مختلفة، فمرة بلفظ زيتونًا في سورة عبس: ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ ومرة واحدة بلفظ زيتونة في سورة النور [النور: ٣٥]، ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾، ومرة واحدة بلفظ بدل على أن المقصود هو

شجرة الزيتون فقال تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ في سورة [المؤمنون:٢٠]٠

يروي د. طه إبراهيم خليفة أستاذ النباتات الطبية والعقاقير بجامعة الأزهر وعميدها السابق عن مادة بروتينية يفرزها مخ الإنسان والحيوان بكميات ضئيلة من سن ١٥ وحتى ٣٥ ثم يقل إفرازها بعد ذلك إلى الستين، وهذه المادة (الميثالويثونيدز) حيوية جدًا لجسم الإنسان في (خفض الكوليسترول ـ التمثيل الغذائي ـ تقوية القلب ـ ضبط التنفس، ولها أكبر الأثر في إزالة أعراض الشيخوخة) ٠

وقد حاول العلماء استخلاصها من النبات، فقام فريق العلماء الياباني بالبحث عن هذه المادة السحرية، فلم يعثروا عليها إلا في نوعين من النباتات وهما: التين والزيتون، وقد وجدوا أن استخدامها من التين وحده أو من الزيتون وحده لم يعط الفائدة المنتظرة لصحة الإنسان، فلما جربوا مزجهما معا ظهرت نتائجهما المرجوة وفوائدهما المنتظرة، ولكن بأي نسبة تتحقق هذه الفائدة؟

وجد العلماء أن أفضل نسبة لخلط النباتين معًا هي (١: ٧) حبة تين مع سبع زيتونات٠

وسبحان الله رب العالمين، الخالق العظيم، فقد ورد ذكر التين في القرآن الكريم مرة واحدة، أما الزيتون فقد ورد ذكره سبع مرات (ست مرات تصريحًا، ومرة واحدة بالإشارة ضمنيًا في سورة المؤمنون: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ وقد قام الأستاذ الدكتور: طه إبراهيم خليفة بإرسال كل المعلومات التي جمعها من القرآن الكريم إلى فريق البحث الياباني، وبعد أن تأكدوا من إشارة ذكر كل ما توصلوا إليه في القرآن الكريم منذ أكثر من ١٤٢٧ عام أعلن رئيس

فريق البحث الياباني إسلامه، وقام فريق البحث بتسليم الاختراع إلى الأستاذ الدكتور: طه إبراهيم خليفة٠

راجع مجلة (المعجزة) العدد الرابع، سنة ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م٠

ولأخينا الشيخ مطاع الحكمي عناية فائقة بهذا الاكتشاف، وقد جربه لمدة عام، وانتفع بهذا الاكتشاف انتفاعًا كبيرًا، وما زال مستمرًا عليه، وله مقال مطول شرح فيه تجربته، وعنون لمقاله هذا بـ(لا شيخوخة بعد اليوم)٠

فسبحان خالقهما، المبدع في صنعهما، والله أعلم٠

وأيضا وردت فوائد الزيتون في مقال تحت عنوان:

زيت الزيتون أسرار وإعجاز مقال للدكتور حسان شمس باشا استشاري أمراض القلب بمستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة، نشر في مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة العدد الثامن٠

وقد تتضمن ما في زيت الزيتون من غذاء ودواء لكثير من الأمراض فهو إعجاز علمي وصدق الله عزوجل وسبحان من أنزل في كتابه ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فقد تضمن مقاله:

- زيت الزيتون والكرلسترول٠
- زيت الزيتون والسرطان٠
- زيت الزيتون وسرطان الثدي٠
- زيت الزيتون وسرطان الرحم٠
- زيت الزيتون وسرطان المعدة٠
- زيت الزيتون وسرطان القولون٠
- زيت الزيتون والجلد٠
- زيت الزيتون والإرضاع٠

- زيت الزيتون والتهاب المفاصل.
- زيت الزيتون يقتل قمل الرأس.

وهذا نص مقاله:

زيت الزيتون .... أسرار وإعجاز

د. حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب بمستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

لأول مرة في التاريخ اجتمع ستة عشر من أشهر علماء الطب في العالم في مدينة روما في الحادي والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٩٧ ليصدروا توصياتهم وقراراتهم الموحدة حول موضوع "زيت الزيتون، وغذاء حوض البحر المتوسط" وأصدر هؤلاء العلماء توصياتهم في بيان شمل أكثر من ثلاثين صفحة استعرضوا فيها أحدث الأبحاث العلمية في مجال زيت الزيتون وغذاء حوض البحر المتوسط، ونقتبس هنا بعضًا مما جاء في تلك التوصيات والقرارات، إضافة إلى أحدث الأبحاث العلمية.

وأكدوا في بيانهم أن تناول زيت الزيتون يسهم في الوقاية من مرض شرايين القلب التاجية وارتفاع كولسترول الدم، وارتفاع ضغط الدم، ومرض السكر، والبدانة، كما أنه يقي من بعض السرطانات.

فحتى عام ١٩٨٦م لم يأبه أحد من الباحثين الأمريكيين والأوربيين بزيت الزيتون، وما أن طلع علينا الدكتور غرندي في دراسته التي ظهرت عام ١٩٨٥م، والتي أثبت فيها أن زيت الزيتون يخفض كولسترول الدم حتى توالت الدراسات والأبحاث تركز اهتمامها حول فوائد زيت الزيتون، وتستكشف يومًا بعد يوم المزيد من أسرار هذا الزيت المبارك الذي أتى من شجرة مباركة. قال رسول الله ﷺ : (كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة) صحيح الجامع الصغير ٤٤٨٩

وكيف لا تكون الشجرة مباركة، وقد أقسم الله تعالى بها أو بأرضها ـ على اختلاف بين المفسرين ـ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ﴾.

وكيف لا تكون مباركة، وقد شبه الله تعالى نوره بالنور الصادر عن زيتها حين قال: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾.

فالشجرة مباركة .... والزيت مبارك .... ولكن كثيرًا من الناس عنه غافلون.

فزيت الزيتون هبة السماء للإنسان. عرف القدماء بعضًا من فوائده، وأدرك الطب الحديث ـ منذ سنوات معدودات ـ بعضًا آخر منها، عرفنا حديثًا أن زيت الزيتون يقي من مرض العصر ... جلطة القلب، ويؤخر من تصلب الشرايين، وتلاشت الأسطورة التي كانت تقول إن زيت الزيتون يزيد كولسترول الدم، ذلك الشبح الذي يقض مضاجع الكثيرين، وتبين للعلم الحديث أن زيت الزيتون عدو للكولسترول، يحاربه أني كان في جسم الإنسان.

والحقيقة أن الأمريكان يغبطون سكان حوض البحر الأبيض المتوسط على غذائهم، فهم يعرفون أن مرض شرايين القلب التاجية أقل حدوثًا في إيطاليا وأسبانيا وما جاورهما مما هو عليه في شمال أوروبا والولايات المتحدة، ويعزو الباحثون ذلك إلى كثرة استهلاك زيت الزيتون عند سكان حوض البحر المتوسط، واعتمادهم عليه كمصدر أساسي للدهون في طعامهم بدلا من السمنة "المرجرين" والزبدة وأشباهها.

يقول كتاب Herat Owner Handbook الذي أصدره معهد تكساس لأمراض القلب حديثًا: إن المجتمعات التي تستخدم الدهون اللامشبعة الوحيدة.

(وأشهرها زيت الزيتون) في غذائها كمصدر أساسي للدهون تتميز بقلة حدوث مرض شرايين القلب التاجية، فزيت الزيتون عند سكان اليونان وإيطاليا وإسبانيا يشكل المصدر الأساسي للدهون في غذائهم، وهم يتميزون بأنهم الأقل تعرضًا

لمرض شرايين القلب وسرطان الثدي في العالم أجمع، وليس هذا فحسب، بل إن الأمريكيين الذين يحذون حذو هؤلاء يقل عندهم حدوث مرض شرايين القلب.

زيت الزيتون والكولسترول:

من المعروف أن سكن جزيرة كريت هم من أقل الناس إصابة بمرض شرايين القلب التاجية في العالم، ومن المعروف أن معظم الدهون التي يتناولونها في طعامهم مصدرها زيت الزيتون الذي ثبت أنه يقلل من معدل الكوليسترول الضار في الدم، وبالتالي يقي من تصلب الشرايين ومرض شرايين القلب التاجية.

ومن المعروف أن أكسدة الكوليسترول الضار أمر مهم في إحداث تصلب الشرايين وتضيقها. وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن زيت الزيتون يلعب دورًا هامًا في منع تلك العملية .... إضافة إلى أن زيت الزيتون يلعب دورًا مضادًا للأكسدة أيضًا، حيث أن زيت الزيتون يحتوي على فيتامين E المعروف بدوره المضاد للأكسدة، كما يحتوي على مركبات البولي فينول، ومن ثم يمكن أن يقي من حدوث تصلب الشرايين.

وتعزي الفوائد الصحية لزيت الزيتون إلى غناه بالأحماض الدهنية اللامشبعة الوحيدة، وإلى غناه بمضادات الأكسدة. وقد أكدت الدراسات العملية بما لا يدع مجالاً للشك أن زيت الزيتون يخفض مستوى الكوليسترول الكلي والكوليسترول الضار، دون أن يؤثر سلبًا على الكوليسترول المفيد.

وليس هذا فحسب، بل إن دراسة حديثة نشرت في مجلة Atherosclerosis عام ١٩٩٥ أكدت على أهمية تناول زيت الزيتون البكر الممتاز Virgin oil Extra ، وهو زيت العصرة الأولى، وقد وجد الباحثون أن زيت الزيتون البكر يحتوي على كمية جيدة من مركبات البولي فينول Polyphenolic Compounds التي تمنع التأكسد الذاتي للزيت، وتحافظ على ثباته، كما وجد

هؤلاء الباحثون أن هذه المركبات تمنع أكسدة الكوليسترول الضار LDL في أنابيب الاختبار، وبالتالي يمكن لها أن تقي من حدوث تصلب الشرايين، وتلعب دورًا هامًا في وقاية الجسم من خطر المركبات السامة للخلايا مثل "البيروكسايدز" Lipid Peroxides وغيرها من المواد الضارة٠

وأكدت هذه المعطيات دراسة أخرى نشرت في شهر فبراير١٩٩٦م في مجلةAtherosclerosi ٠

هل لزيت الزيتون تأثير على تجلط الدم؟

ولكن السؤال هل هناك أيضًا تأثير آخر لزيت الزيتون يمارس عن طريق فوائده في الوقاية من تصلب الشرايين؟

ففي دراسة نشرت في شهر ديسمبر عام ١٩٩٩م في مجلة (Am J clin Nutr)، أظهر الباحثون أن الغذاء الغني بزيت الزيتون ربما يضعف التأثير السيء للدهون المتناولة في الطعام على تجلد الدم، وبالتالي ربما يقلل من حدوث مرض شرايين القلب التاجية٠

زيت الزيتون ... ومعدل الوفيات:

وقد أظهرت دراسة نشرت في مجلة اللانست الشهيرة في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩م أن معدل الوفيات في أفقر بلد في أوروبا ألا وهي ألبانيا المسلمة تمتاز بانخفاض معدل الوفيات فيها، فمعدل الوفيات في ألبانيا عند الذكور كان ٤١ شخصًا من كل ١٠٠,٠٠٠شخص، وهو نصف ما هو عليه الحال في بريطانيا٠

ويعزو الباحثون سبب تعمير الناس في ألبانيا ذات الدخل المحدود جدًا إلى نمط الغذاء عند الألبانيين، وقلة تناولهم للحوم ومنتجات الحليب، وكثرة تناولهم للفواكه والخضار والنشويات وزيت الزيتون، فقد كان أقل معدلات الوفيات في

الجنوب الغربي من ألبانيا في المكان الذي كانت فيه أعلى نسبة لاستهلاك زيت الزيتون والفواكه والخضراوات٠

الغذاء الغني بزيت الزيتون ينقص من جرعات أدوية ضغط الدم:

ففي بحث قام به الدكتور ألدو فرارا في جامعة نابولي الإيطالية ونشر في مجلة Archives of Internal Medlicine بتاريخ ٢٧مارس ٢٠٠٠ تمت دراسة ٢٣ مريضًا مصابًا بارتفاع ضغط الدم بمعدل يقل عن ١٠٤/ ١٦٥ ملم زئبقي ويتناولون أدوية لارتفاع ضغط الدم، وضع النصف الأول من المرضى على غذاء غني بزيت الزيتون البكر، أما المجموعة الأخرى فوضعت على غذاء غني بزيت دوار الشمس Sun flower oil وبعد ستة أشهر، عكس نمط الغذاء بين المجموعتين لستة أشهر أخرى، وأظهرت نتائج الدراسة انخفاض ضغط الدم بمقدار ٧ نقاط عن الذين تناولوا زيت الزيتون، في حين لم يحدث أي انخفاض في المجموعة الأخرى، وقد استطاع المرضى الذين كانوا يتناولون الغذاء الغني بزيت الزيتون خفض جرعات أدوية ضغط الدم إلى النصف، وذلك تحت إشراف الأطباء بالطبع، كما أن ثمانية من المرضى المصابين بارتفاع خفيف في ضغط الدم لم يعودوا بحاجة إلى الدواء خلال تلك الدراسة، في حين لم يحدث أي تغير يذكر في جرعات الدواء عند المرضى الذين كان غذاؤهم غنيًا بزيت دوار الشمس، ولابد من التنبيه إلى ضرورة الالتزام بإرشادات الطبيب، فلا ينبغي أن يفهم من هذا أن باستطاعة المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم تناول زيت الزيتون وإيقاف أدويتهم، فهذا أمر في غاية الأهمية، ولابد من المراقبة الدورية من قبل الطبيب٠

زيت الزيتون ... والسرطان:

يعتبر السرطان مسؤولا عن خمس الوفيات في البلدان الأوروبية، ولكن الغريب في الأمر أن هناك اختلافات واضحة في معدلات الوفيات من السرطان بين الدول الشمالية والغربية من أوروبا، وبين دولها الجنوبية المطلة على حوض

البحر الأبيض المتوسط، وهناك أدلة قوية إلى أن هذا الاختلاف منشؤه ـ إلى حد كبير ـ نوعية الغذاء المتناول٠

ويعزو الباحثون سبب انخفاض معدل الوفيات من السرطانات في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى غذاء سكان هذه البلاد الذي يشتمل على زيت الزيتون كمصدر أساسي للدهون، وعلى الخضراوات والفواكه والبقول٠

ما هو دور زيت الزيتون في الوقاية من السرطان؟

أظهر العديد من الدراسات الوبائية أن هناك تناسبًا عكسيًا بين زيت الزيتون وبين حدوث عدد من السرطانات، وأكثر تلك الدراسات تؤكد العلاقة الوثيقة بين تناول زيت الزيتون وانخفاض معدل حدوث سرطان الثدي والمعدة، وليس هذا فحسب، بل إن عددًا آخر من الدراسات العلمية يوحي ـ كما يقول البروفيسور آسمان رئيس معهد أبحاث تصلب الشرايين في جامعة مونستر بألمانيا، وهو من أبرز الباحثين في العالم في مجال تصلب الشرايين ـ بأن تناول زيت الزيتون يمكن أن يقي من عدد آخر من السرطانات، ومنها سرطان القولون، وسرطان الرحم، وسرطان المبيض، على الرغم من أن عدد هذه الدراسات ما زال صغيرًا٠

زيت الزيتون وسرطان الثدي:

شاءت إرادة الله تعالى أن يختص النساء ببعض من بركات هذا الزيت المبارك، فتوالت الدراسات العلمية في السنوات القليلة الماضية التي تشير إلى أن زيت الزيتون يقي من سرطان الثدي، ومن سرطان الرحم٠

فقد أكدت دراسة نشرت في شهر نوفمبر ١٩٩٥م، وأجريت على ٢٥٦٤ امرأة مصابة بسرطان الثدي أن هناك علاقة عكسية بين احتمال حدوث سرطان الثدي، وبين تناول زيت الزيتون، وأن الإكثار من زيت الزيتون ساهم في الوقاية من سرطان الثدي٠

وأكدت دراسة نشرت في مجلة Archives of internal Medicine في عدد أغسطس ١٩٩٨م أن تناول معلقة طعام من زيت الزيتون يوميًا يمكن أن تنقص من خطر حدوث سرطان الثدي بنسبة تصل إلى ٤٥%٠

وقد اعتمدت هذه الدراسة على بحث نوعية الغذاء لدى أكثر من ٦٠,٠٠٠ امرأة ما بين سن الأربعين والسادسة والسبعين من العمر، وبعد ثلاث سنوات وجد الباحثون أن النساء اللواتي لم يصبن بسرطان الثدي كن يتناولن كميات وافرة من زيت الزيتون في طعامهن، ويقول الباحثون أن زيت الزيتون يعتبر الآن أحد أهم العوامل التي تقي من سرطان الثدي، رغم أنه لا تعرف حتى الآن بدقة الآلية التي يمارس بها زيت الزيتون ذلك التأثير٠

زيت الزيتون وسرطان الرحم:

وأما عن سرطان الرحم، فقد نشرت "المجلة البريطانية للسرطان" في شهر مايو ١٩٩٦م دراسة أجريت على ١٤٥ امرأة يونانية مصابة بسرطان الرحم، قارن فيها الباحثون النسوة بـ٢٨٩ امرأة غير مصابة بالسرطان، فتبين للباحثين أن النساء اللواتي كن يكثرن من تناول زيت الزيتون كن أقل تعرضًا للإصابة بسرطان الرحم، فقد انخفض احتمال حدوث هذا السرطان بنسبة وصلت إلى ٢٦%٠

زيت الزيتون .... وسرطان المعدة:

أظهر عدد من الدراسات العلمية الحديثة أن تناول زيت الزيتون بانتظام يمكن أن يقلل من حدوث سرطان المعدة، رغم أن هناك حاجة إلى المزيد من الدراسات العلمية ..

زيت الزيتون ... وسرطان القولون:

هناك أيضًا دراسات وبائية تشير إلى أن تناول الفواكه والخضراوات وزيت الزيتون تلعب دورًا هامًا في الوقاية من سرطان القولون٠

زيت الزيتون ... وسرطان الجلد القتامي:MELANOMA

نشرت مجلة Dermatology Times في عددها الصادر في شهر آب (أغسطس) ٢٠٠٠ دراسة أشارت إلى أن الإدهان بزيت الزيتون موضعيًا بعد السباحة والتعرض للشمس، ربما يقي من حدوث سرطان الجلد القتامي Melanoma

ومن المعروف أن هذا النوع من السرطان ينتشر عند الغربيين من ذوي البشرة البيضاء الذين يتعرضون للشمس لفترات طويلة وخاصة عقب السباحة، وذلك بسبب تأثير الأشعة فوق البنفسجية، وقد أجريت هذه الدراسة في جامعة Kobe اليابانية على الفئران، فقد عرض الباحثون الفئران لضوء شمسي ثلاث مرات في الأسبوع، ودهنت الفئران بزيت الزيتون لمدة خمس دقائق عقب كل جلسة، وبعد ١٨ أسبوعًا تبين أن الأورام بدأت تظهر عند الفئران التي لم تدهن بزيت الزيتون، وتظل هذه الدراسة دراسة مبدئية تحتاج إلى المزيد من الدراسات، والرسول ﷺ يقول: (وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)٠

زيت الزيتون ... وقرحة المعدة:

قدم الدكتور "سموت" من جامعة "هاوارد" الأمريكية بحثًا في المؤتمر الأخير للجمعية الأمريكية لأمراض جهاز الهضم والذي عقد في شهر أكتوبر ٢٠٠٠م، أظهر البحث أن الزيوت غير المشبعة مثل زيت الزيتون وزيت دوار الشمس وزيت السمك، يمكن أن تمنع نمو جرثومة تدعي Helicobacter pylori في المعدة. وهذه الجرثومة مسؤولة عن العديد من حالات القرحة المعدية وعدد من حالات سرطان المعدة، وأكد الدكتور "سموت" أن الغذاء الحاوي على هذه الزيوت ربما يكون له تأثير مفيد في الوقاية من سرطان المعدة، والإقلال من نكس القرحة المعدية٠

زيت الزيتون والإرضاع:

وأما ذلك المخلوق الجديد الذي خرج لتوه إلى هذه الحياة، فإنه يتغذى بما تغذت به أمه، فإن هي أحسنت اختيار غذائها منحته مما اختارت الخير الكثير، وأنشأته على الغذاء السليم٠

ففي دراسة حديثة نشرت في شهر فبراير ١٩٩٦م من جامعة برشلونة الإسبانية، وأجريت على ٤٠ مرضعًا، أخذت منهن عينات من حليب الثدي، وجد الباحثون أن معظم الدهون الموجودة في حليب الثدي كانت من نوع (الدهون اللامشبعة الوحيدة) Monounsaturated fats ويعتبر هذا النوع من الدهون بحق من أفضل الدهون التي ينبغي أن يتناولها الإنسان وهو النوع الذي يشتهر به زيت الزيتون٠

ويعزو الباحثون سبب تلك الظاهرة إلى كثرة تناول النساء في إسبانيا لزيت الزيتون٠

زيت الزيتون ... والتهاب المفاصل نظير الرثوي:

Rheumatoid arthritis

التهاب المفاصل نظير الرئوي مرض تصاب فيه مفاصل اليدين والقدمين وغيرها٠

وقد افترض العلماء وجود علاقة عكسية بين تناول بعض الأغذية وحدوث هذا المرض، فقد نشرت مجلة Am J clin Nutr في عددها الصادر في شهر نوفمبر ١٩٩٩ دراسة أجريت على ١٤٥ مريضًا مصابا بداء المفاصل نظير الرئوي في جنوب اليونان، وقورنت هذه المجموعة بـ١٠٨ أشخاص سليمين٠

وأظهرت الدراسة أن تناول زيت الزيتون يمكن أن يسهم في الوقاية من حدوث هذا المرض فالذين يتناولون كميات قليلة جدًا من زيت الزيتون في طعامهم كانوا أكثر عرضة للإصابة من أولئك الذين كان غذاؤهم غنيًا بزيت الزيتون، ويعزو الباحثون سبب ذلك إلى الدهون غير المشبعة، ومضادات الأكسدة التي يحتوي عليها زيت الزيتون، كما أظهرت الدراسة ذاتها أن الذين كانوا يكثرون من الخضراوات المطهية كانوا أيضًا أقل عرضة للإصابة بهذا المرض.

زيت الزيتون يقتل قمل الرأس:

أشارت أحدث الإحصائيات المنشورة في مجلة Infectious diseases in Vhildre في شهر أبريل ١٩٩٨ أن قمل الرأس قد عاد ليصيب أمريكا بشكل وبائي من نيويورك إلى لوس أنجلوس، وأنه يصيب حوالي ١٢ مليون أمريكي معظمهم من الأطفال.

وأظهرت الدراسات التي أجريت في جامعة Hebrew University الأمريكية وفي المعهد الأمريكي لقمل الرأس أن وضع زيت الزيتون على الرأس المصاب بالقمل لعدة ساعات يقتل القمل الموجود في الرأس.

وأكد الباحثون من جامعة ماسوتشيتس الأمريكية أن المركبات التي كانت فعالة في القضاء على قمل الرأس لم تعد فعالة جدًا، وأن قمل الرأس عاد إلى الظهور بشكل أقوي من ذي قبل.

واقترح الباحثون خطة علاجية لقمل الرأس المعند على خمس خطوات وتستمر لمدة ثلاثة أسابيع، ففي المرحلة الأولى تعالج الحالة بمركبات Permethrin أو الـ Pyrethium وهذه يمكن أن تقضي على معظم القمل ولكن لا تقتلها جميعًا. وهنا يأتي دور زيت الزيتون على الرأس قبل النوم مباشرة مع وضع غطاء الاستحمام

Shower Cap على الرأس، أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة هامة جدًا: حيث ينبغي تمشيط الرأس بمشط معدني خاص قبل غسل الرأس من زيت الزيتون.

وأما المرحلة الرابعة فتكون بالتأكد من عدم وجود القمل في البيئة المحيطة وذلك باستخدام السيشوار الساخن.

والمرحلة الخامسة تكون بالتأكد بالعين مباشرة من خلو فروة الرأس من أية بيوض للقمل وذلك باستعمال مشط خاص يزيل هذه البيوض ويجب التأكد من سلامة الرأس من القمل خلال مدة ثلاثة أسابيع.

وبعد فهذا غيض من فيض ما نشر من أبحاث حول زيت الزيتون خلال الأعوام القليلة فهنيئًا لمن نال من خيرات هذه الشجرة المباركة، وصدق رسول اللهﷺ حين قال: (كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة) وهنيئًا لمن نال تلك البركات.

الخاتمة

هذه السورة الكريمة هي من السور ذات الأسماء الفريدة فالسور ذات الأسماء الفريدة هن عشر: [سورة الروم، وسورة الأحقاف، وسورة التغابن، وسورة المزمل، وسورة المدثر، وسورة المطففين، وسورة التين، وسورة الفيل، وسورة قريش، وسورة المسد][1].

أهم النتائج التي توصلت لها في هذا البحث وهو ما ترشد إليه السورة الكريمة:

١ – أيمان أربع متتابعة على أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم فالتين والزيتون ثمرات معروفة ترى جماعة من العلماء أن الله أراد القسم بهذا الثمر، ولو أقسم بغيره جاز، فكل ما تنبت الأرض من دلائل القدرة الإلهية وأسرارها في خلق عالم الثبات وما يشتمل عليه من بديع صنع الله، إذ توضع البذور في الأرض وتسقى بماء واحد فينشق الطين ويخرج مختلف الألوان والأشكال والطعم والرائحة فمن الذي أخرج من الحمأ المسنون هذه الثمرات الشهية؟ إنه الله ولا يخفى ما في عالم النبات المشار إليه "بالتين والزيتون" من الدلالة على قدرة الله تعالى على إحياء الأرض بعد موتها بالنبات قادر على إحياء الناس بعد موتهم للجزاء والحساب، وفي السورة الكريمة قوله: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ والدين هو الجزاء على الأعمال.

(١) نظم الدرر في فرائد أسماء السور أسرارها البلاغية وإعجازها المقاصدي ـ د/محمد علي عثمان عثمان ـ مجلة العلوم الإسلامية ـ العدد العشرون ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م، صـ١١ .

وقد رجح أبوحيان[١] هذا القول وذلك بدلالة ظاهر النص واختاره الشوكاني[٢] في فتح القدير ـ سبق شرحه ـ٠

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن التين والزيتون أي: القسم هو بمواطن الشرائع الأول، وهذا أوفق في الجمع بينهما، ويؤيده ما أخرجه ابن جرير بسنده وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ قال: مسجد نوح الذي بني على الجودي، والزيتون قال: بيت المقدس و﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ قال: هو الطور ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ قال مكة[٣]، وبالتالي تتم المناسبة بين الإيمان وتكون إشارة إلى موارد أعظم الشرائع الواردة للبشر، فالتين إيماء إلى رسالة نوح وهي أول شريعة، والزيتون إيماء إلى مكان شريعة عيسى إذ المسجد الأقصى بناه سليمان ولم تنزل فيه شريعة قبل شريعة عيسى، وطور سينين إيماء إلى شريعة التوراة، والبلد الأمين إيماء إلى شريعة الإسلام ـ على ما سبق بيانه بالتفصيل٠

٢ – والمقسم عليه هو خلق الإنسان في أحسن تقويم، والأنبياء يكونون أحسن الناس وأعدلهم خَلقًا وخُلقًا، وتشهد هذه الأماكن الطاهرة السابقة بلسان حالها بصدق قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ والتقويم تقويم صورة الإنسان الظاهرة وعقلي وإدراك إذ العقل هو المحرك للجسد بالعمل٠

وهذا من مقاصد السورة، ويدلنا على ذلك مجيء قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بعد بيان خلق الإنسان في أحسن تقويم لأن الإيمان أثر التقويم لخلق الإنسان الذي يلهمه السير في الطريق الصحيح ومعاملة بني جنسه معاملة حسنة٠

---

(١) فتح القدير للشوكاني جـ٥/ صـ٦٧١ ٠
(٢) البحر المحيط لأبي حيان جـ١٠/ صـ٥٠٢ ٠
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ابن جرير الطبري: ج٢٤ ص٥٠٣، ٥٠٥، وفتح القدير للشوكاني جـ٥/ صـ٦٧١ ٠

٣ – وخلق الإنسان في أحسن تقويم تدل على أن الإنسان مخلوق على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، أي: يولد بالتوحيد، والاستقامة، ثم تعدو عليه البيئة الرديئة، فإذا هو يميل ويعوج وينسى أصله الرفيع.

وفي الآية ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

٤ – وتقويم الإنسان أيضًا واستقامته وارتقاؤه يكون بالعمل الصالح والعلم النافع فهذه الثوابت يرتقي بها الإنسان إلى أعلى عليين، فإن أعرض عنها انتكس بعمله إلى أسفل سافلين، فإذا عمل بما علم وداوم على العمل الصالح رفعه الله وأعلى مقامه، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ ﴾[٢] وقال أيضًا: ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾[٣].

٥ – أن قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أتت بعد قوله تعالى في سورة البلد: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ وسر اختلاف ما بعده ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴾ في الموضعين وصلة آية البلد بقوله ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ وآية التين بقوله: ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ كما في درة التنزيل وغرة التأويل.

أن قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ فيه أقوال: أحدها: في شدة ونصب يكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة وسائر الحيوان كالمنكب على وجهه غير منصب، والثالث: هو مخلوق في شدة أمر تكونه أولاً في الرحم في ظلمات ثلاث ثم ينتقل إلى القماط والرباط، ثم هو عند البلوغ على الخطر العظيم يقوده إليه عمله من جنة أو نار، فالدنيا له دار كبد والآخرة له دار راحة ونعمة إن وفاها بما كلف من طاعة،

(١) سورة الروم: الآية ٣٠ .
(٢) سورة المجادلة: الآية ١١ .
(٣) سورة طه: الآية ٧٥ .

والرابع: أنه خلق في بطن أمه ورأسه قبل رأسها منتصبًا كانتصابها فإذا أرادت الولادة انقلب الرأس إلى الأسفل، فيخرج رأسه قبل رجله، وقد تخرج رجلاه قبل رأسه، وذلك نادر، والأول عام شائع.

فهذه الأوجه الأربعة تعم جميع الناس لا يستثنى منها أحد منهم، ثم خص بعض الكفار بالذكر عن هذا العموم، فقال: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ فلما تقدم القسم بـ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ وفيه قولان: أحدهما: آدم وولده، والقول الثاني: كل والد وكل مولود، قرن إلى القسم العام بما يشبهه من الجواب العام.

أما قوله: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ فقد قيل فيها: إن التين دمشق والزيتون بني المقدس، وقيل جبل عليه دمشق، وجبل عليه بيت المقدس، وقيل: مسجدان فالتين مسجد نوح عليه السلام، والزيتون مسجد دمشق، وقيل: التين: الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر فالقسم واقع بأشياء مخصوصة من بقاع أو غيرها، فعلق بجواب وقع فيه تخصيص بالاستثناء، وهو: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: خلقناه في أحسن صورة ثم رددناه يعني الكافر إلى أقبح صورة حين حط عن الخلق الأول إلى المحط الأسفل فصار في أقبح منظر بعد أن كان في أحسن صورة.

وقيل: ﴿ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أي في خلقه قويمة ودلالة على طريقة مستقيمة ثم رددناه إلى أرذل العمر، وهو الضعف الذي يفقد معه، العلم، ولا يملك فيه إقامة الطاعات، والثبات على العبادات إلا المؤمنين، فإنهم يوفون أوقات العبادات التي كانوا يقيمونها إذا لم يقدروا مع الضعف الذي نقلهم الله تعالى إليه أجرهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾.

وإذا كان معنى الآيتين كذلك، لاق بكل من القسمين الجواب الذي جاء له، ويمكن أن يجاب عن الفرق بين الموضعين بالفواصل، لأن القسم في سورة البلد بهذا اللفظ، وهو قوله[١]:

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾[٢] وورد أيضًا في البرهان في توجيه متشابه القرآن[٣] أنه لا مناقضة بينهما لأن معناه عند كثير من المفسرين منتصب القامة معتدلها فيكون في معنى أحسن تقويم ولمراعاة الفواصل في السورتين جاء على ما جاءه٠

٦ – رد الإنسان إلى أرذل العمر من الهرم والضعف بعد الشباب والقوة حتى يصير كالصبي دليل على قدرة الله على البعث وإحياء الموتى من قبورهم للحساب والجزاء٠

وقد يكون المراد بقوله ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أي رددنا الكافر في النار على كفره فالإنسان عندما نسي ربه وفسدت فطرته، اقترفوا الآثام والموبقات من أنواع الضلالات أو انتكست فطرتهم بالكفر والضلال تارة وبالفسوق والعصيان والفساد في الأرض والانحراف عن منهج الله وهدي الرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٤]٠

فيستعمل في الانحطاط الحسي والمعنوي فمنهم من انحط بسبب بعدهم عن منهج الله، وهدي رسله ودينه الحق، حتى أصبحت قلوبهم أشد قسوة من الجمادات فكان منهم [١] من نازع الله سبحانه في صفاته العليا، كالنمروذ الذي حاج إبراهيم

---

(١) سورة البلد: الآية ٣ ٠

(٢) راجع: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي: صـ١٣٥٨ : ١٣٦١ الناشر: جامعة أم القرى٠

(٣) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة بن نصر أبوالقاسم برهان الدين الكرماني ويعرف بتاج القراء، متوفى سنة ٥٠٥هـ، المحقق عبدالقادر أحمد عطا جـ١/ صـ٢٥١ ٠

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١١ ٠

في ربه، فقال: ﴿ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾[1] بل كان منهم [٢] من تجاوز بطغيانه وجبروته كل حد فادعى الألوهية كفرعون فقال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[2]، [٣] ومنهم من دنس الفطرة وغير خلق الله حتى صار من شياطين الإنس الذين يتبعون إبليس وجنوده فيما يأمرهم به ويزينه لهم من أعمال الشر والفساد ممثلة في قوله تعالى على لسان إبليس عليه لعنة الله ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[3] وصدق الله إذ يقول في وصف طائفة منهم: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[4].

٧ – استثنى الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ حيث قال ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فقد حافظوا على ما رزقهم الله تعالى من فطرة نقية طاهرة، وداوموا على العمل الصالح بتزكية أنفسهم بالإيمان ـ فلهم من الله الأجر المستمر غير مقطوع ولا منقوص وهؤلاء كان منهم أولوا العزم من الرسل والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون، الذين قال الله فيهم ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[5] وقال أيضًا عنهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨ .
(٢) سورة القصص: الآية ٣٨ .
(٣) سورة النساء: الآية ١١٩ .
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠٥ .
(٥) سورة النساء: الآية ٦٩ .
(٦) سورة الأنعام: الآية ٩٠ .

٨ – التعجب من هؤلاء الكفرة المكذبين بالجزاء والحساب ـ بعد مشاهدة مظاهره في هذه الحياة ـ أفرأيت أيها الإنسان كيف يرقى الإنسان بعمله وجهاد نفسه إلى أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كيف يسموا إلى صفوف الملائكة في الصفاء والطاعة لله عزوجل، فكيف لا يجازى هذا النقي التقي على ما قدمت يداه، ثم رأيت كيف ينحط بعض الإنسان بعمله حتى يصير أسفل سافلين فكيف لا يعاقب الله الطغاة المجرمين، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1].

فالله عزوجل أحكم الحاكمين وأعدل العادلين في معاملته مع الإنسان حسب أعماله وإيتاء كل ذي حق حقه من الدرجات العليا أو الدركات السفلى.

٩ – والتين من الفرائد القرآنية التي لم يتكرر جذرها اللغوي إلا مرة واحدة في سورة التين[2].

١٠ – تشابه قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ الآية (٦) من سورة التين مع قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ الآية ٢٥ من سورة الانشقاق، وقوله أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ الآية٨ من سورة فصلت.

وذلك حيث ذكرت الفاء في آية سورة التين وحذفت في آيتي سورتي الانشقاق وفصلت.

والسر في ذلك:

(١) سورة القلم: الآيتان ٣٥، ٣٦ .

(٢) معجم الفوائد القرآنية / التاء / لمؤلفه باسم سعيد البسومي ـ ط١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

أن ذكر الفاء في قوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ الآية٦ من سورة التين اقتضى السياق ذكرها إذ لما كان سياق الآية لمدح المؤمنين حَسُن أن يعد أعمالهم التي تفضل عليهم بها سببًا كما من عليهم به من الثواب فقال: ﴿ فَلَهُمۡ ﴾ أي فتسبب عن ذلك أن كان لهم في الدارين على ما وفقوا له مما يرضيه سبحانه وتعالى: ﴿أَجۡرٌ﴾ عظيم جدًا، وهو مع ذلك ﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ أي: مقطوع أو يمن عليهم به حتى في حالة المرض والهرم لكونهم سعوا في مرضاة الله تعالى وعزموا عزمًا صادقًا أنهم لا ينقصون من أعمال البر ذرة ولو عاشوا مدى الدهر، وذلك الأجر جزاء لأعمالهم فضلاً منه بالأصل والفرع حتى أنهم إذا عجزوا بالهرم كتب لهم أجر ما كانوا يعملون في حال الصحة، ولمن تابع هواه في السفول عذاب عظيم لأنه رُد أسفل سافلين[1].

والسر في حذف الفاء في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ الآية ٢٥ من سورة الانشقاق اقتضى السياق حذفها إذ لما تقدم أن من حوسب عذب في الآيات السابقة لها، وأن الناجي إنما يكون حسابه عرضًا، علم أنه ليس للأعمال دخل في الحقيقة في الأجر، وإنما المدار كما قال النبي ﷺ على التغمد بالرحمة حتى في تسمية النعيم أجرًا، فأسقط الفاء المؤذنة بالسبب تنبيهًا على ذلك بخلاف ما في سورة التين، وقوله ﴿ لَهُمۡ أَجۡرٌ ﴾ أي عظيم وثواب جزيل يعلمه الله تعالى وهو التجاوز عن صغائرهم وشيرها غير مقطوع أو منقوص أو يمتن عليهم به في الدنيا والآخرة يؤتون ذلك يوم الدين يوم تنشق السماء وتمد الأرض ويثوب الكفار ما كانوا يفعلون، فقد رجع آخرها على أولها، واعتلق تفصيلها حق الاعتلاق بموصلها[2] .

(١) نظم الدرر للبقاعي/ جـ٢٢ / صـ١٤٦ / ط١ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي /جـ٢١ / صـ٣٥٠، ٣٥١ .

كما اقتضى السياق حذف الفاء أيضًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ الآية ٨ من سورة فصلت.

وذلك لما ذكر سبحانه في الآيات السابقة ما للجاهلين وعيدًا وتحذيرًا، ذكر ما لأضدادهم وعدًا وتبشيرًا فقال مجيبًا لمن تشوف لذلك مؤكدًا لإنكار من ينكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بما آتاهم الله من العلم النافع ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من الزكاة وغيرها ليكون عملهم شرعيًا نافعًا، ولما كان افتتاح السورة بالرحمن الرحيم مشعرًا بأن الأسباب الظاهرية انمحت عند السبب الحقيقي الذي هو رحمته، أعرى الخبر عن الفاء، فقال إيذانًا بعظم الجزاء لأن سببه رحمة الرحيم، ولو كان بالفاء لأذنت أنه على مقدار العمل الذي هو سببه ﴿ لَهُمۡ أَجۡرٌ ﴾ عظيم ﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ أي: مقطوع ـ جزاء على سماحهم بالفاني اليسير من أموالهم في الزكاة وغيرها وما أمر الله به من أقوالهم في الآخرة والدنيا(١).

١١ – ما أثبته العلم الحديث من فوائد طبية للتين والزيتون وما أثبته من سر الجمع بين التين والزيتون وفي سر ذكر التين مرة واحدة في القرآن الكريم والزيتون سبع مرات ـ وأن هذه النسبة من ١: ٧ أي من حبة تين إلى سبع زيتونات هي أفضل نسبة لخلط النباتين معًا ليعطي الفائدة المرجوة لصحة الإنسان واستخلاص المادة اللازمة له ـ على ضوء ما سبق تفصيله ـ فسبحان من كان هذا كلامه، وسبحان من أشار إليه منذ أكثر من ١٤٤٠ عامًا ـ فجل جلاله وتقدست أسماؤه وصفائه.

وله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه

وسبحان من كان هذا كلامه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا

(١) نظم الدرر للبقاعي /جـ١٧ / صـ١٤٧، صـ١٤٨ .

محمد وعلى آله وصحبه

وسلم

المراجع

١ – القرآن الكريم٠

مراجع التفسير:

٢ – أحكام القرآن لابن العربي ط: دار الكتب العلمية٠

٣ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ط: دار إحياء التراث العربي٠

٤ – البحر المحيط لأبي حيان ـ ط: دار الفكر٠

٥ – التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ط: دار التفسير٠

٦ – التحرير والتنوير لابن عاشور ـ ط: دار سحيون٠

٧ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ ط: دار الكتب العلمية٠

٨ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ـ ط دار الفكر بيروت٠

٩ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ـ ط: دار الفكر٠

١٠ – التفسير الكبير للفخر الرازي ـ ط: دار الفكر٠

١١ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ـــ ط: دار المعرفة٠

١٢ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ـ ط: دار الريان٠

١٣ – تفسير المراغي ـ الطبعة الأولى ـ ط: مصطفى البابي الحلبي٠

١٤ – جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ـ ط: مؤسسة الرسالة٠

١٥ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ـ ط: المكتبة التجارية٠

١٦ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني ـ ط:دار الحديث٠

١٧ – لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ـ ط: دار الفكر٠

١٨ – محاسن التأويل للقاسمي ـ ط: دار الفكر٠

١٩ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ـ ط: دار الفكر٠

٢٠ – معالم التنزيل للبغوي بهامش تفسير الخازن ـ ط: دار الفكر٠

٢١ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ـ ط:دار الكتاب الإسلامي٠

مراجع علوم القرآن:

٢٢ – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ـ ط دار عالم المعرفة٠

٢٣ – أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في متشابه القرآن للكرماني تحقيق/ عبدالقادر أحمد عطا ـ ط: دار الفضيلة٠

٢٤ – إعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري ـ حققه د/ موسى علي موسى مسعود٠

٢٥ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ـ ط: المكتبة العلمية ـ بيروت٠

٢٦ – جماليات المفردة القرآنية لأحمد باسوف ـ ط: دار المكتبي ـ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م٠

٢٧ – درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي٠

٢٨ – مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي ـ تحقيق/ حاتم صالح الضامن ـ ط: مؤسسة رسالة بيروت٠

٢٩ – مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ـ ط دار الحياة٠

القراءات:

٣٠ – كتاب السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي أبوبكر بن مجاهد البغدادي ـ تحقيق/ شوقي ضيف ـ ط/ دار المعارف٠

مراجع السنة الشريفة:

٣١ – الموضوعات لابن الجوزي ـ ط: المكتبة السلفية٠

٣٢ – سنن أبوداود ـ ط: دار الحديث٠

٣٣ – سنن الترمذي ـ ط: دار الحديث٠

٣٤ – مسند الإمام أحمد ـ ط: دار الحديث٠

مراجع اللغة ومعاجمها:

٣٥ – مختار الصحاح للرازي ـ ط: دار المنار٠

٣٦ – معجم الفرائد القرآنية لباسم سعيد البسومي/ ط١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م٠

٣٧ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس ـ ط: دار الفكر٠

٣٨ – مفردات غريب القرآن للأصفهاني ـ ط: دار المعرفة٠

مراجع الأدب والبلاغة:

٣٩ – البيان والبديع لمؤلفه مناهج جامعة المدينة العالمية٠

٤٠ – المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ـ ط: المكتبة الأزهرية للتراث٠

٤١ – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبدالمتعال الصعيدي ـ ط مكتبة الآداب ـ الطبعة السابعة٠

٤٢ – تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ط دار الفكر٠

مجلات ودوريات:

٤٣ – مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة العدد الثامن [مقال زيت الزيتون ـ أسرار وإعجاز د/حسان شمس باشا (استشاري أمراض القلب بمستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة)٠

٤٤ – مجلة العلوم الإسلامية العدد العشرون ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م [بحث نظم الدرر في فرائد أسماء السور أسرارها البلاغية وأعجازها المقاصدي ـ د. محمود علي عثمان عثمان ـ أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية كلية التربية جامعة الملك فيصل]٠

٤٥ – مجلة المعجزة العدد الرابع ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م [مقال ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ بعض أسرار القسم بـ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ وما رواه د/ طه إبراهيم خليفة ـ أستاذ النباتات الطبية والعقاقير بجامعة الأزهر وعميدها السابق]٠